الطبعة الثانية

فريدريك نيتشه

عدو المسيح

ترجمة: جورج ميخائيل ديب



عدو المسيح

- **عدو المسيح**
- فريدريك نيتشه
- ترجمة: جورج مخائيل ديب

- الطبعة الثانية: 2005
- النـــاشــــر : **دار الحـــوار للنشـــر والتوزيـــع**

سورية ـــ اللاذقية ـــ ص . ب: 1018

هاتف وفاكس: 422339 41 00963

البريد الإلكتروني: soleman@scs-net.org

العنوان الأصلي للكتاب

Friedrich Nietzsche

El ANTICRISTO

فريدريك نيتشه

عدو المسيح

ترجمة: جورج مخائيل ديب

دار الحوار

الإهداء

إلى المحاولات الرامية لتأسيس نقد تاريخي وعلماني للإسلام، على نحو ما جرى تجاه المسيحية.

المترجم



مقدّمة من المترجم

أتعلّم من الكثيرين ولكن لا أثق بأحد.

إنّـــي وإن كنت اليوم ما أزال أعدّ نيتشه أجرأ ذهنيّة وجدت على الأرض، وأقوى عقليّة قيّض لنا أن نسمع صوتها، فإنّ ذلك لـــيس عـــن اختـــيارٍ محض فلسفي أو ذاتيّ. إنّه ناتج تقديري لداروين وعلماء الطبيعة والفلك قبله وبعده. ولكن أليس انحيازاً، هـــنا أو هناك، لرجل؟ الأمر مختلف جدّاً. حين تؤمن بمؤسس مذهـــب أو فلســـفة فهذا أمرٌ يتعلق بمنحى، بتوجّه، بمقولة ذلك الـــرجل ذاتـــه، أمّا مع العلم، فإن الرجل ليس غير مكتشف، لا صاحب نظرية أو مذهب عقيدي. داروين ليس غير اسم لتعيين

حالــة طبيعيّة هو اكتشفها. لسنا نؤمن به بل بالحقائق الطبيعيّة [ومن المؤسف أن تُسمّى إلى اليوم نظريّة داروين!].

الوجهــة الفلســفية للمــرء ــ روحانيّة أو عقلانيّة ــ تحدّد الفيلســوف أو الفلاسفة الذين يعدّهم الأفضل. بارتلمي سانتهلر لــيس صدفة، إذ يقدّر أفلاطون ككبير فلاسفة اليونان، أن يقدّر "كــانط" حديــثاً بوصفه أفلاطون الفلاسفة المحدثين! إنّه التوجّه الروحيّ مهما اتّخذ من شكل.

أقــول إذاً، إنني وإن كنت أعدّ نيتشه أقوى تعبير عن الفكر الحــرّ ــ اللاديني والمناهض للميتافيزيقيا والمحبّ للأرض ــ فإننــي منذ سنين قليلة قد ألقيت ثقله عن ظهري كعقلية صائبة بالكليّة وبغير أخطاء.

صــباح يوم من أيّام مايو، السنة الأخيرة من الألفيّة السالفة بحسب التقويم الزائف ــ بتعبير نيتشه الرائع نفسه ــ وأنا أنظر مــن نافذتــي إلــى الجــبال المحيطة بكاراكس وكلّها خضراء وأعاليها محجوب بالضباب، متأملاً في الطبيعة والمدنية وتطوّر الإنســان، تبدّى لي أنّ إنسان نيتشه أقرب إلى الإنسان الحربي مــنه إلى الإنسان العقلاني. سوف تلاحظ ذلك بقوّة في الفصول الأولى من هذا الكتاب.

فكيف ــ كنت أسأل نفسي ــ كيف أمكن للإنسان المتفوّق أن يكون قد ظهر ــ وإن في لمحات في الماضي ــ ونحن نعرف أننا إلى اليوم لم نزل نشكو من وهن معرفي، ليس بمكتمل التكوّن؟ الإنسان الراقي ليس طفرة أو ضربة حظّ، بل مرتهن بدرجة تطوّر المجتمع.

نفهم في العمق هذا الإنسان ومقصد نيتشه منه: قويّ جريءٌ ليس بهياب، محبّ للحياة، كأنّه من أتباع ديونيس وغير مسيحيّ بالمرّة ــ وهذا الضَعف المسيحي هو الأمر المهمّ الذي دفع بنيتشه إلى هذا التطرّف مع إنسانه المتفوّق ــ أجل غير مسيحي بالمرّة، ليس بمشفق ولا شاندالا، وليس في صفّ الواهنين والعجزة ونعجات القطعان.

يكره نيتشه حضارتنا الحديثة الرعاعية، وكثيراً ما يذمّ العلماء (انظر ما وراء الخير والشر، وزرادشت) بينما حضارتنا الحديثة بعلومها واكتشافاتها هي بذاتها من هيّأ له في الأساس، وعبر ديمقراطيتها، أن يعلن ((أن الله قد مات)). لقد كان هو المعبّر الاسميّ لما قرّره علم الفلك قبله ــ مثلاً لابلاس مع بونابرت ــ وقرّره وولاس وداروين.

يتطوّر الإنسان ليكون قوياً بطريقة أروع (فإنّ ما صدق لقرون خالية بما يقرّره ابن خلدون قد سقط الآن، والمدنية تتيح

القـــوّة بطـــريقة تختلف عمّا كانت تصيب به القدماء من وهن جسدي، فالمعركة اليوم معركة ذكاء لا جسد) يتطوّر ليكون لا مســيحياً، بعلومـــه ورأسماليته وتثمينه للأرض، دون أن يكون نسخة عن وثنيين شرفاء. فالتاريخ لا يعيد نفسه.

الإنسان المتفوّق ربّما يكون غداً، كما تدلّ منظورات علمية مســتقبلية كثـــيرة، لا بيولوجيّا جينياً فقط، بل سيليكونياً، وبديل سيليكون آتٍ.. سوف لن تكرَّس أبدع الصفات المنتخبة في أفراد معدّليـــن، ومن جهة الجسد فحسْب، بل وكذلك الصفات العقليّة مدعّمـــة بقدرة كمبيوترية! الإنسان القادم سيحوي صفات الغابة والمدنـــية، صفات الجسد الرائع والرقي الدماغيّ.. في الجنس والجمـــال والذهـــن. والعقل في ذلك كلّه هو الأساس، لكن مع تخوّف دائم من حشوه بخرافاتنا الحالية وبالأخصّ الدينيّة.

لكنّ النقطة المهمّة أن نيتشه يفتقد حوله النبالة، ويشتكي من الرعاعيّة وعدم وجود النظام التراتبي الذي يعدّه طبيعيّاً. ولأجل ذلـــك يمتدح قانون مانو وتراتبيّة الهند إلى حدٍّ يجعله يقرّر أنّ الطـــبقة ليست اختياراً بل طبيعة، وهو في هذا يغالي أكثر من أفلاطـــون حيـــن يـــتحدّث عـــن عـــروق الذهب والنحاس في جمهوريته.

مع ذلك لا يمكن لنظام النبالة والتفوّق والتفريق أن يندثر، فالنوع الأرقى من الديمقراطيّة يتيح الفرص للتباين والتفوّق. وعلى نطاق كبير فإننا نلاحظ اليوم طبقات أمميّة: عالم أوّل وعالم ثالث، وربّما دول شاندالا ومنبوذين. إنّ سقوط الشيوعية له دلالته هنا.

***

شيءٌ في نيتشه اسميّه الاندفاعة العاطفية.

مثلها من أوقعه في هوّة العَود الأبدي الموجود عند اليونان وكذلك عند الطاويّة.

وإننا نعلم اليوم أنّ الكون دائم التمدّد وليس ثمّة انكماش.

ومثل هذه الاندفاعة العاطفيّة هو ما دفعه إلى موقفه الذي يَفْهم من خلاله يسوع بوصفه مثال المحبة والرأفة والمسامحة خالصة.

لقد كنت وضعت في هذا الكتاب هوامش كثيرة تمثّل ردوداً على آراء عديدة فيه، ثمّ ألغيتها مستعيضاً عنها بإشارات قليلة في هذه المقدمة. إذ بدت لي طريقة الردّ على الكاتب في الهوامش طريقة أبعد ما تكون عن الذوق، وتحيل كتابه إلى

نقـــاش فلا يبقى طرحاً. إنّها تقحم ذاتاً أخرى متطفّلة في مملكة الكاتــب نفســه وتجعــل من كتابه ساحة تنازع، فتعكّر تسلسله وخصوصيته الأصليين.

وإذاً تجاه يسوع أقول هنا إنّ فهم نيتشه له هو فهم تعسفي، لا يقــرأ الأناجيل كفايةً ليجد يسوع التاريخي. في النبذة 32 مثلاً يذكر عن يسوع عبارات هي في التحليل النقدي منحولة.

لقد اقتضاني البحث عن حقيقة يسوع سنوات وفي يدي الآن مخطــوط عن ذلك، خلاصته أن يسوع داعية يهوديّ بامتياز، وحتّى وصفه الكنعانيين بأنهم كلاب ولو عددته منحولاً عليه فإنّه يعبر عنه، بينما المناقض بإرسالهم إلى الأمم هو معاً منحول ولا يعبّر عنه. ولا ننسَ طلبه من تلاميذه اقتناء السيوف وتأكدّه من وجود بعضها معهم، وكذلك يأسه المريع على الصليب وإدراكه أنّــه قــد انــتهى وأنّ الله قد تركه، وقبله تخفيّه الدائم الذي هو علامــة ممــيّزة كخــطّ أحمر في الأناجيل، واختباؤه في جبل الزيــتون قبــيل القــبض عليه، مع طلبه من تلاميذه أن يبقوا مستيقظين ويحرسوه.

كــلّ ذلك محوّر طبعاً ومبطّن بدلالة دينيّة مجتلَبة، لكنّ من يعــرف القــراءة على النمط الذي يطلبه نيتشه نفسه فإنّ الأمر واضح.

اندفـــاع نيتشـــه الحماسي دفعه كذلك إلى تكريم قانون مانو، والإسلام من خلال الإعجاب بملمح أرضيّ فيهما. وعندما يقول فـــي النبذة 60 أنّ العالم الرائع للأندلسيين قد غُمر فحُرمت منه أوروبا، يتجاهل أنّ ذلك الغمر كان في اندفاعة الأوروبيين إلى الكشوف والفتوحات والنهضة، ممّا عُدّ في خلاصته تحرّراً من المسيحيّة وانتهاء للعصور الوسطى، التي هي عصور المسيحية في الغرب.

***

إنّما إذا انتقلنا الآن إلى صميم فكرته: فإنّه ضدّ هذه الكهنوتيّة الـــيهودية الماورائـــية الضاغنة على النبالة والتفوّق. إنها فكرة نبيلة ما تزال حاضرة الصوت إلى اليوم، وبقوّة.

وإنها دعوة إلى محبة الأرض، ودعم كلّ قويّ وعزوم ونيّر في الحياة... وكره كل ما هو كهنوتي وطقوسي وروحانيّ.

فيا للجوّ النقيّ الذي أحببته دوماً، حيث لا انفصام ولا تمزّق بين عالمين.

أأنـــا واحـــدٌ من هؤلاء الذين كان يتطلّع إليهم دوماً، والذين يقـــول عـــنهم في المقدّمة من هذا الكتاب، إنهم الذين سيفهمون زرادشت، أولئك المولودون فيما بعد؟

إذ كنت أظنّ ذلك فإنّي بالتالي أتساءل هل نحن كثرٌ، وبالأخص في هذه المنطقة من العالم؟ أخشى الجواب بلا. فوق ذلك، وبفضل نيتشه وعلماء الطبيعة والفلك، وكما هو مفهوم بل مرجوٌ تاريخياً وحضارياً، نحن اليوم وفي أمور تفصيلية كثيرة نتجاوز نيتشه.

***

لكن لماذا أترجم هذا الكتاب؟ لأنّ الكثيرين ــ والعدد الأكبر بحسب تعبير نيتشه ــ لم يزالوا يعيشون في الزمن الذهني السابق عليه، بل البعيد جدّاً عنه إلى الوراء.

لا لأولئك الصرحاء المقدامين الناظرين بإخلاص تام إلى الأمام أقدّم هذا الكتاب، فهؤلاء قد صاروا بِغُنيةٍ عنه، بل إلى أولئك المتردّدين، وأولئك الناظرين إلى الوراء حيث يظنون العصر الذهبي مع أسلافهم ودُعاة معتقداتهم.

يعيش الكثيرون في تناقض آخر غير الماديّ والروحي، هو الحاضر والماضي، هؤلاء يمشون متراجعين وبظهورٍ إلى المستقبل!

لو كان الأمر أمرَ نقضٍ للمسيحية فحسب، لما كان بالغ الجدوى نشرُ هذا الكتاب وفي بلادٍ عموم ساكنها مسلم. لكن من

ورائه أريد أن أضع بين يديّ القارئ، وليس فقط بين يديه، بل في عقله إن أمكنه، منحىً مختلفاً في الرؤية التاريخيّة يقدّمه فيلسوف كبير، كما أريد أن أوضح أنّ تقدم الغرب قد أتيح ـ وعُبّر عنه معاً ـ بأمور كثيرة منها إتاحة المجال للآراء العقلية وإفساح المدى الوسيع للنقد الديني وفصل الدين عن الدولة. ثمّ إنّ نقد نيتشه للمسيحية يقوم على نقد اليهودية بالذات.

قد يقال إنّ المسيحية تحمل إمكانية من المرونة أكثر ممّا في الإسلام كونها ليست شريعةً، وقد يكون هذا نظرياً فيه شيء من الصواب، لكن لا أحد يحدثني عن الواقع. فإنّ كلّ ديانة واحديّة هي تعصّب لإيمان، ولا ننسَ محاكم التفتيش وقتل برونو ومحاكمة غاليليو والعنف الديني في فرنسا وبريطانيا لمّا بدا أن الكنيسة في الواقع تتعرّض للهجوم.

لقد كانت المسيحية عقبةً بدورها، وتقدُّم أوروبا بدءاً من عصر النهضة يتماهى مع تقهقر المسيحيّة.

لعلّ أقدمية المسيحيةَ على الإسلام بست مئة سنةً، أهْرَمَها، ومكّن منها أوروبا. ولكن ما أعرفه أنّ هذا المنحى عبثي، فنشوء واضمحلال ديانةٍ يتعلق بالمجتمع وتطوّره وبشبابه أو هرمه. فهل نستفيد من التراث النقدي تجاه المسيحيّة؟

إنّ كل امرئ يحب ولده بأكثر من محبته لأبيه، لأنه المستقبل، وجلّ ما أخشاه هنا، وفي هذه القضايا البالغة الوسع والأهمية، أنْ نفعل العكس.

***

فيما يختصّ بالترجمة فقد ترجمت هذا الكتاب عن ثلاث ترجمات مختلفة للكتاب باللغة الإسبانية. وكنت ملتزماً للتدقيق البالغ بمقابلة كلّ عبارة على النسخ الثلاث.

وأمّا الهوامش فهي فقط تفسيرية للمساعدة على جلاء النصّ.علامة [P] تدل على هوامش الترجمة الإسبانية الصادرة عن Panamericana في بوليفيا، ترجمة مارتا ميزاروس وتقديم وهوامش رافائيل جيراردوت، وهي طبعة غنية بالمعلومات والصور.

أمّا بقية الهوامش فهي لي. مع الإشارة إلى أنّ نيتشه لم يضع أية هوامش.

مقتطف من مقدمة الترجمة الإسبانية

التي وضعها رافائيل جيراردوت

العـنوان الأصـلي للأنتي كريستو (Der Antichrist) هو على ما يظهر واضح. ترجمته الإسبانية تتبع الصورة المعادية ليسـوع والموجودة في رؤيا يوحنا[1]. والعنوان الفرعي ((لعنة

---

[1] إنّ كلمة "ضدُّ المسيح" لا توجد إلا في رسالتي يوحنا الأولى والثانية (1 يوحـنا2:18،2:22 و4:3.. و2 يوحـنا7) والـرؤيا لا تذكر حرفياً هذه الكلمة، ولكن واضح ممّا تصفه أنّها ترسم صورة أشمل من الرسائل لضدّية المسـيح،حيث محاربة "القديسين" ولعن الله وسجود الأكثرين للضدّ.وهذا ما يذكـره نيتشـه ويـريده، مع استخدام تلك الكلمة من الرسالتين.(تعليق من المترجم إلى العربية)

ضدّ المسيحية))، وأيضاً مضمون العمل، لا يغطيان بالكليّة هذا الإيحاء، وإنما يضعان عدّة إشارات أخرى توضح المقصد، كما أنهـــا في ذات الوقت تعطي كثافة وتعقيداً يحجب النبرة الجدلية للعنوان.

في كتابه ((هذا هو الإنسان)) كتبَ نيتشه: ((أنا "ضدّ الحمار بامتياز" ومعه أنا وحشٌ تاريخيّ عالميّ، أنا في اليونانية، ولكن ليس في اليونانية فقط، ضدّ المسيح)) (IV,2). في "ضدّ الحمار" يشير نيتشه إلى فصول "البعث" و"عيد الحمار" في الجزء الرابع مـــن زرادشت، والتي يصوّر فيها ((الناس الراقين، والذين هم الملكان، والبابا المعتزل، والساحر اللعين، والمتسول باختياره، والســائح الحـــاج والظلّ، والعراف القديم، والمتأثّم في الروح، وأقبح العالمين)) يصورّهم وهم راكعون يعبدون الحمار: هذا هو "إلهــنا". ولدى صيرورته ((ضدّ الحمار بامتياز)) يكون نيتشه ضدّ ـ إله أولئك ((الناس الراقين)) وكذلك ((وحش تاريخي ـ عالمـــي))، وهـــذا هو ((حيوان له عشرة قرون وسبعة رؤوس وعلـــى قرونه عشرة تيجان، وعلى رؤوسه اسم تجديف)) كما تصف الرؤيا (فصل 1:13) ضدُّ المسيح.

لكنّ عبارة ((أنا في اليونانية..)) تشير إلى معنى آخر لكلمة حمـــار، إلى المعنى الإيجابي، أي إلى المعرفة التي يمتلكها هذا

الحـــيوان فـــي عـــبادة ديونيسيوس. لقد كان الحمار بعد الثور والتيس، الحيوان الثالث المختار من ديونيسيوس.

فديونيســـيوس وخاصـّـــته كانوا يمتطون الحمير، ونهيق هذه الحيوانات كان يسبب رعباً للأعداء فيبادرون إلى الهرب.

فـــي العبارة الملغِزَة بدئياً ((أنا، في اليونانية، ولكن ليس في اليونانية فقط)) يتَطابق حمار زرادشت بوصفه ضدّ ــ إله أولئك ((الـــناس الراقيـــن))، مـــع ضدّ ــ المسيح الرؤيوي، الذي هو ((الوحـــش التاريخـــي العالمـــي))، ومعهما حمار ديونيسيوس بوصفه ضدّ ــ مسيح جدلياً، بامتلاكه سمة صوت صارخ متَحدٍّ، فـــي السطر المعروف الذي كتبه نيتشه في لحظة نشوة ذاهلة: ((ديونيسيوس ضدّ المصلوب)).

الوحش هو ((عالميٌّ تاريخياً)) ليس لأنه في صورته وفكرته هذه يكرّر الصورة الرؤيوية، بل لأن نيتشه بعمله الجدليّ يدشن عصـــراً جديداً في التاريخ العالمي، ويفتح الأبواب على فلسفة المستقبل الديونيسية. ((ضدُّ ــ المسيح)) هكذا ((Elanticristo))، هو ضدّ ــ المسيحيّ ((Elanticristiano)).

مقدّمة

هذا الكتاب ينتمي إلى القليلين... الذين لعلّ أحداً منهم لم يولد إلى الحياة حتى الآن.

ولعلّهم أن يكونوا أولئك الذين سيفهمون زرادشتي.

كيف أملك أن أخلط ذاتي مع أولئك الذين يُستمع إليهم اليوم؟! الغدُ وحده هو الذي يخصّني، وبعض المولودين فيما بعد.

تلــك الظروف المقتضاة للفهم، والتي بموجبها يُمكن أن أُفهم بالضرورة، أنا أعرفها حقّ المعرفة:

يجــب أن يكــون المــرء نزيهاً حتّى الصرامة في الأمور الروحــية كــي يتمكّن من احتمال جدّيتي واندفاعي.. عليه أن

يكــون متمرساً على الحياة فوق الجبال ليَرى في الأسفل النمائم البائسة حول السياسة وأنانيّة الشعب.. يجب أن يغدو غير مبالٍ، وألاّ يكــون ثمّــة سؤال أبداً إن كانت الحقيقة ذات نفع، أو أنّها تنقلب شؤماً على أحد.

يجــب أن تُحــاز قــوة الميل إلى الأسئلة التي لا يملك أحد الشجاعة اليوم كيما يعرضها؛ الشجاعة تجاه الأشياء الممنوعة، وضرورة التهيّؤ للمصاعب.. من العزلة يجب أن تكوّن خبرة.

مســتمعون جــدد يجب أن يوجَدوا لأجل موسيقا جديدة... عيون جديدة ترى ما هو أبعد.. ضمير جديد لأجل حقائق حتّى الآن هي بكماء، وإرادة اقتصاد من نمط كبير.. المحافظة على القــوى الذاتيّة والحماسة الخاصّة... يجب أن يكون ثمّة احترام للذّات، ومحبّة للذّات، وحريّة غير مقيّدة تجاه الذات.

حســنٌ إذاً!هــؤلاء المطــرَّقون هكذا هم فقط قُرّائي، قرائي الأخصّاء، قرّائي المختارون:

أية أهمية للآخرين، الآخرين الذين لعلّهم كلّ البشرية؟

يجــب الــتفوّق علــى البشــرية بالعــزم، وبتشدّد النفس.. وبالاحتقار.

FriedrichNietzsche

- 1 -

فلنحدّق في وجوهنا. إننا شماليون[1]، ونعرف معرفة وافية الجزء الذي نحيا فيه.

((لا في الأرض ولا في المياه تصادف الطريق إلى الشماليين)) حتّى "بندار" قد عرف هذا عنّا.

أكثر بعداً من الشمال، ومن الثلج، ومن الموت، ثمة حياتُنا وسعادتنا.

إننا لَنَكتشف السعادة، ونعرف الطريق، ونصادف المخرج من ألفيّات كاملة من المتاهة.

من ذا صادفه أيضاً؟ ألعلّه الإنسان الحديث؟

---

(1) Pindaro , xodapitica 29-30، الشماليون هم طرف العالم.

((لا أعرف ماذا أفعل؟ .. أنا بالكليّة من لا يعرف لا مَدْخلاً ولا مخرجاً)) هكذا يدمدم الإنسان الحديث متشكياً.

ومن هذه الحداثة نحن مرضى، من السلام المتعفّن، من التسوية الجبانة، ومن الصلاح القذر للنعم واللا الحديثتين.

هذه المسامحة ووسع القلب، التي تعذر الكلّ لأنّها ((تتفهّم)) الكلّ، هي ريحُ الجنوب الشرقي[1] التي تهبّ علينا.

ولأفْضَل أن يعاش في الثلج من أن يُعاش تحت الفضائل الحديثة، ورياح أخرى من الجنوب.

كنّا شجعاناً كفاية، ولم تكن بنا من رأفة لا بذواتنا ولا بالآخرين، لكن عبْر زمن متطاول لم نكن نعرف إلى أين نتّجه ببسالتنا: صرنا معتمين، ودُعينا قدريّين.

مصيرنا كان الامتلاء، التحفّز، وتكديس القوّة، كنّا متعطشين للاندفاع يترامى بصواعقه، وللأفعال، وبقينا الأبعد عن السعادة، سعادة الضعفاء، وعن الاستكانة.

ثمّة عاصفة تهبّ في أجوائنا، وطبيعتنا تُظلم، لأننا لم ندرك أيّ طريق.

---

(1) sirocco لأوروبي هي الرياح الجافّة والحارّة التي تهبّ من صحارى شمالي أفريقية محمّلة بالغبار أو الرمل على جنوب أوروبا – وفي استخدام نيتشه لها معنى مزدوج البلاغة.

وَصفَةُ سعادتنا: موافقة بنعم، رفضٌ بلا، خطٌّ مستقيم، وغاية.

- 2 -

ما هو الخير؟

إنّه كلّ ما يُرْبي الشعور بالقوّة إرادة القوّة، والقدرة ذاتها داخل الإنسان.

ما هو الشرّ؟

إنّه كلّ ما يتأتى عن الضّعف.

ما هي السعادة؟

الشعور بأنّ القوّة تتنامى، وأن المقاومة تُتَجاوز. ليس أنها الرضى، بل قوّة أزود؛ ليس السلام، ولا بأية طريقة، لكنّما الحرب؛ لا الفضيلة، بل الكفاءة ((فضيلة بالمعنى الذي لعصر النهضة[1]. فضيلة بلا "أخلاق ــ سطحيّة زائفة")).

الضعفاء والفاشلون يجب أن يهلكوا:

---

[1] إشارة إلى المفهوم الأساسي عند ماكيافيليّ. فالفضيلة هي القوّة الخلاّقة للرجال العظماء الذين عبر هذه الفضيلة وبالتنظيم الحكيم الذي يوطّدونه، يستطيعون رفع مستوى أواسط الرجال.

تلك هي القاعدة الأساسية في حبّنا للإنسان.

وفوق ذلك يجب أن تقدَّم لأولئك المساعدة كي يهلكوا.

ما الأكثرية أذيّة من كلّ رذيلة؟

فعل الرأفة تجاه جميع الفاشلين والضعفاء: المسيحيّة.

ـ 3 ـ

المشـــكلة التي أعرضها ليست فيما يمكن للبشرية أن تحقّقه بتتابع الكائنات ((الإنسان غاية)) وإنّما أي نمط من الناس يجب أن يُنَشَّـــأ، وأن يُـــرتجى ويُنشـــد كقيمة عظمى وأكثر استحقاقاً للحياة، وأكثر ضماناً للمستقبل.

هـــذا الـــنمط الأعلى قد وُجِدَ بتواتر، لكن كحالة من حالات المصادفة، كاستثناء وطفرة وليس أبداً كنُشدان وتوق؛ وبوضوح أكثر، لقد كان المَخوف، وكان تقريباً التجسيد لما هو مرعب.

وكضـــدّ، وكنتاج لهذا الخوف، قد نُشِدَ وخُلِّق وحُصِّل النمط المعـــاكس، الحـــيوان الداجن، حيوان القطيع، الحيوان المريض المدعوّ إنساناً ـــ المسيحيُّ.

- 4 -

البشرية لا تمثّل تطوراً نحو الأفضل، أو نحو الأكثر قوّة، أو نحو الأرفع، بالطريقة التي تُعتَقَد اليوم.

ولعلّ فكرة الترقيّ فكرة حديثة، بمعنى فكرة خاطئة.

الأوروبيّ اليوم صار أدنى قدراً من أوروبيّ عصر النهضة. التوسـع المتتالـي، لا يعني إطلاقاً، ولا بأية ضرورة، تسامياً وتنامياً واقتداراً.

وبمعـنى آخر مختلف، تحقّقت باستمرار في حالات مفردة، بأماكـن مختلفة من الأرض، وحضارات متنوّعة، نتاجاتٌ فيها بـالفعل يُعبَّر عن نموذج أعلى: شيءٌ هو بالنسبة للبشرية كلّها إنسان متفوق ((سوبّر ــ إنسان)).

وحـتى إنّ ذرية كاملة، وجنساً وشعباً، بمكنته أن يُجسِّد، إمّا أتاحت له الظروف ذلك، واحدة من ضربات الحظّ تلك.

- 5 -

يجب ألاّ تزين المسيحيّة أو تُجمَّل.

لقــد قامــت بحــرب مســتميتة ضدّ هذا النمط السامي من الإنســانيّة، مــبطلة كــلّ غرائزه الأساسيّة، ومن هذه الغرائز استنبطت ما هو شرّ، والشرّير: الإنسان القويّ كنمط مستهجن ((الإنسان المغضوب عليه والهالك)).

لقــد انحــازت المســيحيّة إلى كلّ ضعيف ومنحطّ وفاشل، وشــكّلت، من مناهضتها لغرائز التشبّث بالحياة المفعمة، مثالاً، مفســدةً ومسيئة، من خلال ذلك، إلى صميم تلك الطبائع النفسيّة الأكــثر قــوّة، عبر تعليمها لاعتبار القيم العليا المندفعة للنفس خطيئة وضلالات وغوايات.

المثال الأكثر إيلاماً هو هذا:

مثال ضياع *باسكال* الذي اعتَقَدَ أنّ عقله مُفْسَدٌ بسبب الخطيئة الأصليّة. بينما في الحقيقة كان مفسَداً من المسيحيّة[1].

---

[1] إشارة إلى الفقرة 445 من خواطر باسكال، وهذه هي، من طبعة اللجنة اللبنانــية لترجمة الروائع ترجمة إدوار البستاني: "الخطيئة الأصلية جهالة فــي أعين الناس، ولكنها بهذا وُصِفت. فليس لك إذن أن تأخذ عليّ بُعدَ هذا المعــتقد عن العقل، لأني وافقتك على ذلك، بيد أن هذه الجهالة أحكم من حكمــة الــناس*، ولــولا هذا ماذا عسى أن يقال عن الإنسان إنه هو؟ إنّ

ـ 6 ـ

أيّ مشـــهد مؤلـــم ومرعب هذا الذي تبدّى أمام عينيّ عندما أزحت الستار الذي يحجب فساد الإنسان!

هـــذه الكلمة في فمي هي، على الأقلّ، في منأى عن الريبة، الريبة من أنّها قد تتضمن اتّهاماً أخلاقياً ضدّ الإنسان. مفهوماً ـــ كما أريد إظهار هذا مرّة أخرى ـــ بتجرّدٍ من الأخلاقية الزائفة، وهـــذا حتى الدرجة التي فيها يكون هكذا فساد معدوداً رغم كلّ شـــيء وبطـــريقة واعـــية جـــداً، تطلعاً إلى ((الفضيلة)) وإلى ((القداسة))!

وكما يتّضح، فإنني أفهم الفساد بمعنى الانحطاط: وأؤكّد أنّ كـــلّ القـــيم التـــي تلخّص الآن تطلعات البشرية العليا، هي قيم انحطاط.

مجمل حاله منوط بهذه النقطة التي تفوق البصيرة. فأنّى له أن يتبينها بعقله فيما هي مضادة للعقل؟ وهل لعقله أن يبتدعها بطرقه وهو الذي يبتعد عنها إذا عرضت له؟"* إلماح من باسكال إلى كورنثوس1 1:25 " لأن مستجهل الله أحكم من الناس، ومستضعف الله أقوى من الناس"

إنني أدعو فاسداً: الحيوان، أو النوع، أو الشخص عندما يضيّع غرائزه، مختاراً ومؤثِراً ما هو مضرّ به. إنّ تأريخاً عن ((المشاعر الساميَة)) وعن ((المثُل الإنسانية)) ـ ولعلّ من الممكن أنّه يجب عليّ أن أرويه ـ يمكن أن يكون إيضاحاً حول لماذا بات الإنسان فاسداً إلى هذا المقدار.

حتى الحياة ذاتها أعدُّها غريزة تنامٍ، وبقاء، وتجميع للقوّة، وغريزة اقتدار: وحيث تعوز إرادة القوّة فثمة انحطاط.

وتأكيدي هو أنّ كلّ هذه القيم السامية للبشرية تفتقر إلى هذه الإرادة، وأنّها قيم ساقطة، وقيم عدميّة، تحقّق قدرتها في ظلّ الاسم الأكثر تقديساً.

ـ 7 ـ

بدين الشفقة يدعون المسيحيّة.

الشفقة والرأفة هي في الجانب المضادّ للانفعالات المحرّضة التي ترفع طاقة الشعور الحيوي، وبهذا فإنها تنتج تأثيراً مُثبّطاً.

عند الإشفاق تُضيِّع القوّة.. وعبر الشفقة يتنامى ويتولّد أكثر فأكثر خسران القوّة التي بها تكون الحياة محتملة. الاحتمال نفسه يصاب بالعدوى المُمْرِضة من الشفقة.

وفي ظروف معيّنة يمكن أن تَحصل خسارة عامّة للحياة وللطاقة الحيوية، تُصادف في علاقة باطلة غير معقولة مع مقدار أهميّة السبب (حالة موت الناصري).

هذه هي وجهة النظر الأولى، لكن ثمّة أخرى بعد هي أكثر أهمية.

إمّا قيست الشفقة بحسب قيمة ردود الأفعال التي تستحثّها، حينها فإنّ سجاياها الخلقيّة الخطيرة المضادّة للحياة، تبدو تحت ضوء أكثر وضوحاً بكثير.

الشفقة في عمومها تتجرّأ على قانون التطوّر الذي هو قانون الانتخاب.. تحافظ على الذي قد صار مهيّأً لغروبه، تكافح لأجل المحرومين في الأرض، والمدانين من الحياة.. وتعطي الحياة ذاتها، عبر استبقائها في الحياة لوفرة من الخائبين من كلّ جنس، هيئة كاسفةً ومريبة.

لقد اجترُئ على أن تُدعى الشفقة فضيلة (وهي التي تُعدّ في أيــة أخـــلاق نبـيلة ضعفاً)[1] وذُهب إلى أبعد من ذلك بإنشاء الفضيلة منها، وجعلها الأرضيّة والأصل لكلّ فضيلة، لكن فقط ـــ وهذا ما يجب أن يظلّ دائماً مأخوذاً في الحسبان ـــ من خلال نظر فيلسوف عدميّ، قد كتب فوق مِجَنّه شعار إنكار الحياة.

شوبَنهَوَر بسببها كان إزاء هذا: عبر الشفقة أنكر الحياة، ومن خلالها جعلها أكثر مستَحقيّة للإنكار.

الشفقة هي ممارسة العدميّة[2].

أقـــول مرّة أخرى: هذه الدوافع المثبطة للعزم، والمُمْرِضَة، تتجرأ على تلك الغرائز التي ترمي كغاية إلى حفظ الحياة، وإلى زيادة وإعلاء قيم الحياة.

وإنّهـــا ـــ بالطـــريقة ذاتها ـــ بمقدار ما تُكاثر البؤس كونها حامية للبؤساء، فإنّها أداة أساسية في تضخيم الانحطاط.

---

[1] يجــتمع فـــي الأصـــل فـــي هذه الكلمة المعنى المزدوج للأرستقراطية والفضيلة، وفي كتابه أصل الأخلاق المقطع 10 يقول نيتشه "إنّ كلّ أخلاق أرستقراطيّة تولد من تأكيد فخور بذاتها، بينما أخلاق العبيد ترفض كلّ مالا يشكّل جزءاً من ذاتها" ويريد نيتشه هنا الاستجابة الفعلية مقابل ردّ الفعل.

[2] فـــي كتابه الأساس ((العالم كإدراة وتصوّر)) IV: /66 يقابل شوبنهور بين الحبّ والعاطفة ويؤكد أن الحبّ يقود إلى التخلي التام عن إرادة الحياة، وهذا يعني، عن الرغبة. [P].

الشفقة تقود إلى اللاشيء، ولا يقال اللاشيء بل الأفضل أن يُقال ((الأبعد)) ((العالم الآخر)) أو ((الله)) أو ((الحياة الحقيقيّة)) أو ((النرفانا)) ((الخلاص)) ((المجد)).

هـذه الـبلاغة البريئة المتأتيّة من مملكة الجبلّة الأخلاق ـ دينيّة، تبدو حالاً على أدنى قدر من البراءة عندما يُفهم أيُّ نزوع ينضوي تحت عباءة هذه الكلمات الرفيعة:

النزوع المضادّ للحياة. شوبنهور صار معادياً للحياة: وبهذا قد حُوّلت الشفقة إلى فضيلة.

كمـا هو معروف، فإن أرسطوطاليس رأى في الشفقة حالة مرضيّة وخطرة، يجب أن تُعامل، حيناً بعد حين، بالتّطهير. لقد فهم التراجيديا كمطهّر[1].

من خلال غريزة الحياة يتوجّب البحث فعلاً عن تدبير يمكّن مـن وخـز البثرة المتقيّحة المُمْرِضَة والخطرة، كما تتمثّل في حالـة شـوبنهور (وكذلـك ـ باللبؤس ـ كما تتمثّل في عموم انحطاطـنا الأدبي والفنّي من سان بطرسبرج إلى باريس ومن تولستوي إلى فاغنر) وخزها حتّى تتفقئ.

---

[1] إنّهـا نظـرية التطهـير المعروفة. ففي كتابه "فن الشعر" يرى أرسطو التراجيديا تقليداً لفعل نبيل وأنها بمساعدة الشفقة والخوف تؤدي إلى التطهّر من هكذا انفعالات (1449 b 27-28)

ليس ثمّة ما هو أقلّ معافاة، داخل حداثتنا القليلة الصحّة، من الشفقة المسيحيّة.

إنـــه شـــأننا أن نصبح هنا أطبّاء، ذوي قلوب لا ترحم، وأن نستخدم السكّين.

إنّ هذه هي خصوصيّتنا، وهذه هي طريقتنا في محبة البشر، وبها نكون فلاسفة، نحن الشماليين.

- 8 -

إنّه لمن الضروري أن نقول من هو الذي نشعر به عدوّاً لنا. إنهم اللاهوتيّون وكلّ من يحملون في أجسادهم دماً لاهوتيّاً. إنهم كل فلاسفتنا.

توجد ضرورة لرؤية شؤمهم رؤية قريبة، ولمِن الأفضل أن يُختـــبر ويعايش من داخله، وأن يصار إلى حافة الموت بسببه، حتّى لا تُقتبل أيّة ممازحه في هذه النقطة (حريّة التفكير لبحاثتنا فـــي الطبيعة وفي علم النفس هي عندي دعابة ثقيلة، إذ يَنقصهم الإحساس بهذه الأمور والمعاناة بسببها).

ذلك التسمّم قد وصل أبعد جدّاً ممّا يُعتَقد؛ لقد صادفت في كلّ غريــزة الغطرســة اللاهوتــيّة، حيــث يعــدّ اليوم الناسُ ذلك المــتغطرس ((كمثالــي))، وحيــث بواسطة حجّة أصلٍ رفيع، يُطالَب بحقّ النظر إلى الحقيقة في جوٍّ مُتعالٍ وغريب.

المثالــي علــى ذات المساواة مع الكاهن، يملك في يده كلّ المفاهــيم الكبيرة (وليس في يده فقط)، ويتنازل ليواجه باحتقار ((الملكــة العقلــيّة)) و ((الأحاسيس)) و((الرفعة)) و((الرخاء)) و((العلــم))، وإنّه ليرى أموراً كهذه، دونَه، ويراها قوىً مؤذية ومغوية، وفوقها جميعاً يطفو ((الروح)) في حريّة ذاتيّة خالصة ــ كما لو أنّ الطاعة والعفّة والفقر، وبكلمة واحدة: القداسة، لم تتســبّب إزاء الحياة حتّى الآن بأضرار تفوق أن تحصر، أكثر من أي رعب ورذيلة.

الروح الخالص كذبة خالصة.

طالمــا أنَّ هــذا الكاهن، هذا الرافض، هذا الواشي والمسمِّم المحترف للحياة يظلُّ معتبراً كنمط أعلى للإنسان، فإنّ السؤال: ما هو الحقّ؟ لا يمتلك إجابة.

الحقيقة تنقلب، بأرجل إلى فوق، عندما يُعَدُّ المدافع الحصيف عن العدم وعن الإنكار كممثّل للحقيقة.

- 9 -

على هذه الغريزة اللاهوتيّة أنا أعلن الحرب:

لقد وجدتُ آثار اللاهوتيين في كلّ الأنحاء.

مــن تجــري في عروقه الدماء اللاهوتيّة، فإنّه يتخّذ مسبقاً موقفاً ملتوياً وغير مخلص تجاه جميع الأشياء.

الشَفقة الراثية ((pathos)) التي تُنمّى من هنا، تُدعى إيماناً: إغــلاق الأعين دائماً عن كلّ ما يقابلها حتّى لا تعاني من رؤية الــباطل الــذي لا يمكــن أن يعالج! وانطلاقاً من هذه النظرية الشــائهة تنشأ أخلاقيّة وفضيلة وقداسة تجاه كلّ الأشياء، ويُشَدّ الضمير الصالح ويربط إلى هذا النظر المنحرف.

يُقتضــى أنّ أيــة نظرة أخرى مخالفة لا تستطيع أن تمتلك قيمة، من ثمّ، ما لم تكن في ذاتها، ومع تلك الأسماء لــ ((الله)) و((الفِداء)) و((الأبدية)) قد كُرّست ككليّة القداسة.

إنني أنبش مُظهراً ــ أنّى وجدتها ــ غريزة اللاهوتيّ:

إنّها الشكل الديماسي (التحت أرضي) الخاصّ بالبهتان، ذلك الذي هو الأكثر انتشاراً في الأرض.

الذي يعدّه اللاهوتي حقيقة يجب أن يكون زائفاً:

بهذا تقريباً يُمتلك معيارٌ للحقيقة.

إنّها غريزته العميقة لحفظ الذات، التي تمنع أن يغدو الواقع هـــو المشرَّف في أي موضع، أو أن يمتلك المبادرة و الأولوية في الكلام.

إلـــى حيـــثما يصل تأثير أولئك اللاهوتيّين، فإن حكم القوّة يصـــبح مقلوبـــاً، ومفاهيم ((الحقيقي)) و((الزائف)) تغدو حتماً واقفة على رأسها[1].

مـــا هـــو أكثر إساءة للحياة يُدعى هنا بالحق، والذي يعليها ويسمو بها ويثبتّها ويبرّئها ويجعلها منتصرة يُدعى باطلاً...

وإذا ما حدث ومدّ اللاهوتيون يداً إلى القوّة عبر ((ضمير)) السادة أو ((الشعب)) فلسنا نشك أصلاً فيما يجري دائماً:

إرادة النهاية، إرادة العدم، تريد أن تمتلك القدرة.

- 10 -

يفهمنـــي الألمان توّاً عندما أقول أنّ الفلسفة قد باتت مُفسَدة بدماء اللاهوت.

---

[1] في الأصل. يقصد أنها تغدو مقلوبة.

الراعي الروتستانتي هو جدّ الفلسفة الألمانية، والبروتستانتيّة هي خطيئتها الأصليّة.

تعريفُ البروتستانتيّة: فالجٌ نصفيٌّ في المسيحيّة، وفي العقل.

فقط عبر النطق بهذه الكلمات ((Tubinger Stift))[1] ((مدرسة توبيــنجه الإكليركــيّة)) ثمّــة كفاية لمعرفة ما هي في الأساس الفلسفة الألمانية: لاهوت مستترٌ مخادعٌ.

السوابيّون ((البافاريّون)) هم أمهر الكاذبين في ألمانيا .. إنّهم يكذبون بكلّ براءة.

من أين اندفعت الغبطة الغامرة، مع مجيء "كانط"، منساحة فوق كلّ عالم الدكاترة الألمان المكوّن في ثلاثة أرباعه من أولاد الكهنة والمعلّمين؟

مــن أين دلك الاقتناع الألماني، الذي إلى اليوم يُسمع صداه، بأنّه بدءاً من "كانط" قد حدث انعطافٌ نحو شيء أفضل؟

الغريــزة اللاهوتــيّة داخل الحكماء الألمان تنبأت بما يعود ليصير ممكناً... الطريق السرّي نحو المثال القديم صار مفتوحاً؛

---

[1] هذه المدرسة كانت معدودة معقلاً راسخاً للبروستانتيّة في في فورتمبرج والســواب. أسســت فــي 1547 وفــيها دَرسَ كبلر، وهيغل، وشيلينج، والشــعراء هولدرليــن وإدوارد موريك ودافيد فريدريك شتراوس والمنظّر الجمالي فريدريك تيودور فيشر، وآخرون [P].

فكـــرة ((العالم الحقيقي))، فكرة الأخلاق كجوهر للعالم (وهذان الخطـــآن اللعيـــنان، هما أسوأ ما وجد بين الأخطاء كلّها) الآن، ومجـــدّداً، بفضـــل ارتيابـــيّة ماكرة دهياء، إمّا كانا غير قابلين للإثبات، فإنّهما ليسا يدحضان.

العقل، وحقّ العقل، لم يصل إلى بُعد كبير.

الواقـــع الحقيقي جعل شكلاً ((ظاهراتيّة))، وعالمٌ هو بالكليّة كـــاذبٌ وبـــاطل؛ وعـــالم ((الشيء في ذاته)) ابتُدع محوّلاً إلى حقيقة!.

نجـــاح "كـــانط" هـــو ببســـاطة نجاح اللاهوت، لأن "كانط" وبالمســـاواة مـــع *لوثر*" و*ليبنز*" كان عائقاً إضافياً أمام النزاهة الألمانية، التي لم تكن في ذاتها وافرة الصلابةِ بعد.

- 11 -

كلمة أخرى إضافيّة ضدّ "كانط" كأخلاقيّ.

كـــلّ فضـــيلة يجب أن تكون ابتداعاً شخصيّاً، ودفاعاً ذاتياً عميقاً وضرورياً: وفي أيّ اعتبار آخر فإنّها تتمثّل خطراً.

الــذي لا يوائم حياتنا يضرّ بها: الفضيلة التي تتأتّى فقط من الشُــعور بالاحترام تجاه فكرة الفضيلة، كما أرادها "كانط"، هي أذيّة.

((الفضيلة)) ((الواجب)) ((الخير ذاته))، الخير بصفات غير شخصانيّة، بقيمة عموميّة، تلك هلوسات يعبَّر بها عن الانحطاط، والإرهاق النهائي في الحياة، ورعاعية كونجسبرغ[1].

المقابل هو الذي يُقدَّم من القوانين العميقة للحفاظ على الحياة والنموّ: أنّ كُلاً يبتدع فضيلته الخاصة، وأمره القطعي: ينقرض شعبٌ عندما يؤسس واجبه عبر فكرة الواجب العامّ.

لــيس ثمــة ما يدمّر أكثر عمقاً وأكثر عُتُوّاً من الواجب اللا شخصيّ، ومن تقديم الأضاحي أمام مولوخ التجريد[2].

كــيف أن الأمــر القطعي[3] عند "كانط" لم يُشعر به كخطر أخلاقي؟! لقد حدث أنّ غريزة اللاهوتي وحدها من قام بحمايته.

---

[1] تــدلّ علــى تجمّع من السفلة والأوباش، ويستخدم نيتشه هذا المصطلح كإشارة تحقيَرية لأمانويل كانط.

[2] مــن آلهة الكنعانيين، وكانوا يتقرّبون إليه بأطفالهم ويحرقونهم أحياء.. وإبّــان حصـــار قرطاجة عام 307 ق.م أحرق على مذبحه مائتا غلام من أبناء أرقى الأسر.

[3] الأمــر القطعي (المطلق) عند كانط تجده مفصّلاً في الفصل الثاني من تأســيس ميتافيزيقــيا الأخـــلاق (ت. د عــبد الغفار مكاوي) ويقيمه على

إنّ فعــلاً مدفوعاً من إرادة الحياة يمتلك في الفرح ما يبرهن على أنّه فعلٌ صحيحٌ وحقّ.

مع ذلك، فهذا العدميّ ذو الأحشاء المسيحيّة ــ الدغمائيّة، قد فهم الفرح كمعارضة[1].

ما الذي يدمّر بسرعة أكثر من العمل، التفكير، الشعور، بلا ضــرورة داخلــيّة، بــلا أيّ اختيار شخصيّ عميق، بلا فرح، كإنسان آلي مسيّر بالواجب؟

هذا بكلّ تأكيد هو الطريق إلى الانحطاط، وحتّى إلى البلاهة. "كانط" تحوّل إلى أبله. وقد كان معاصراً لــ "جوته" !

شــؤم العنكبوت هذا قد عُدّ الفيلسوف الألماني. وحتّى الآن يُعَدّ هكذا.

ميتافيزيقيا أخلاقية مفصولة عن الوقائع وعن الفطنة (بحسب مفهوم أرسطو لها في كتابه الأخلاق إلى نيقوماخس). "افعل كما لو كان على مسلمة فعلك أن ترتفع عن طريق إرادتك إلى قانون طبيعي عامّ" ص6.

[1] اســتزد بكــتاب نيتشه أصل الأخلاق فحين يتحدّث نيتشه عن المشكلة الأخلاقية يعجب من تعريف كانت للجمال بأنّه ذاك الذي يثير إعجابنا دون أن يخالط هذا الإعجاب أية فائدة أو هوى. ويقول نيتشه معقباً: "بلا هوى!. قــارنوا هــذا الــتعريف بــتعريف ستندال الذي سمّى الجمال مرّة بشرى بالسعادة".

سأكون متنبهاً في القول بما أفكّر فيه تجاه أولئك الألمان. ألعلّ "كانط" لم يرَ في الثورة الفرنسية التحوّل من الشكل اللا عضوي للدولة إلى الشكل العضوي؟

ألم يسأل إذا كانت قد وجدت حادثة واحدة يمكن أن تكون مشروحة ومفسرة إلاّ عبر تنظيم أخلاقي للبشرية، الأمر الذي يبرهن نهائياً ميلَ البشرية وتوجهها نحو الخير؟

جواب "كانط" ((هذه هي الثورة)).

– الغريزة غير المؤكّدة والملتبسة في كلٍ وفي أي شيء من الأشياء؛

– المضادة للطبيعة، كغريزة؛

– الانحطاط الألماني كفلسفة:

هذا هو "كانط".

- 12 -

إمّا صرفت النظر عن بعض الشكاكين، الذين يمثلون النمط المحترم في تاريخ الفلسفة، فإنّ البقيّة لا يعرفون المتطلبات الأوّلية للنزاهة العقليّة.

كلّهــم يتصرفون كالآنسات؛ كلّ هؤلاء المشعوذين الخياليين والوحــوش الخرافــيّة، ينظرون إلى المشاعر الجميلة كافتخار، وإلى الصدر المرتفع ككير للألوهية، وإلى الاقتناع التامّ كأساس للحقّ.

في آخر الأمر يحاول "كانط"، وبلطف ألماني، أن يعطي لهذا الشكل من الفساد، لهذا الشحّ في الضمير العقلي، ملامح علمانيّة بواســطة فكــرة ((العقــل العملي))، مبتدِعاً سراعاً سبباً معلّلاً وحجــة لتلك الأحوال التي يتوصّل فيها المرء ألاّ يملك ما يهتمّ معهــا بــالعقل، أي، عــندما الأخــلاق، عــندما الأمر الرفيع ((واجباتك)) تغدو مسموعة ومُصغىً إليها.

إذا عُــدّ عــند كلّ الشعوب تقريباً، أن الفيلسوف ليس سوى امــتداد للنمط الكهنوتي، فعندها ليس بمفاجئٍ لنا هذا الجزء من ميراث الكاهن، هذا الغشّ تجاه الذات:

عــندما يمــتلك واجبات مقدّسة، وعلى سبيل المثال، تحسين وإنقــاذ فداء البشر، وعندما يحمل الألوهة داخل صدره، ويكون هو المذيع للأوامر المتعالية، فإنّه ــ مع هكذا دعوة وتبشير ــ يصــير خارج كلّ القيم التي في نطاق العقل، ويكون فضلاً عن ذلــك مقدّساً عبر هذه الواجبات! ويصبح أيضاً شخصاً من نمطٍ عالٍ!

بماذا يهمُّ العلمُ الكاهنَ؟!

إنّه فوق العلم بكثير!

والكاهن مازال مسيطراً حتّى الآن.

إنّه هو من قرّر مفاهيم ((الحقيقي)) و ((الباطل)).

- 13 -

لا نستخفّن بهذا: نحن ذاتنا، الأرواحَ الحرّة، محوّلٌ للقيم،وإعلانٌ فيزيقيٌ حيٌ للحرب وللغلبة على كلّ المفاهيم القديمة للحقيقي واللا حقيقي.

إنّها الانتصارات الأكثر قيمة تلك التي تصادَف في وقت متأخّر؛ غير أنّ ما هو أكثر فخريّة بينها هو تلك المناهج.. كلّ المناهج وكلّ فرضيّات علمانيّتنا العقليّة اليوم، عانت الاحتقار العميق ضدّ كيانها لآلاف السنين، وبسببها كان الرجل يُنفى ويستبعَد من معاملة الناس الشرفاء، معدوداً كـ ((عدوّ لله)) كمحتقِرٍ لـ ((الحقيقة)) ومزدرٍ لها، وكمن به مسّ. وكمتّصف بسجيّة علميّة فإنّ الواحد كان يُعَدُّ Chandala ((أحقر

الطـبقات))[1]. لقـد عانيـنا من كلّ العواطف القلبيّة المشفقة Pathos كضـدّ لذواتـنا. وكلّ مفهوماتها عمّا يجب أن تكون الحقيقة، وخادم الحقيقة، وكلّ ((واجباتك)) ، كانت موجّهة ضدّ ذواتنا.

موضوعاتنا، فعاليّاتنا، طريقتنا الصامتة والفطنة والمتشككة، كلّ هذا بدا للبشرية غير جدير، وغير أهل بالتقدير.

---

[1] أتـت الشـاندالا من إحدى قبائل الهند القائمة في البنغال الشرقيّة.. هذه القبـيلة تشـكّل الطـبقة الأكـثر حطّة، وقد عوملت في الكتب والأشعار بالـنعوت الأكثر تحقيراً.. ونيتشه يأخذ وصفهم من كتاب لويس جاكوليوت عـن التشـريعات الدينية عند مانو، موسى،ومحمّد الصادر في باريس سنة 1876 حيـث يقـول عـن الشـاندالا: ((إنهم ثمارالبغاء وزنى المحارم والانحـراف (وهـذه هي النتيجة اللازمة لمفهوم العقاب الجسدي).. وفي اللـباس عليهم أن يرتدوا فقط أثمالاً، وللآنية فقط يستعملون جفاناً مكسورة، وللزينة حديد قديم، وللعبادة الدينيّة فقط الأرواح الخبيثة؛ ودون سلام، عليهم أن يـرتحلوا من مكان إلى مكان؛ وممنوع عليهم أن يكتبوا من اليسار إلى اليميـن أو أن يسـتعملوا الـيد اليمـنى للكتابة، إذ أنّ استعمال اليد اليمنى والكـتابة من اليسار إلى اليمين أمر محفوظ للأفاضل وذوي النسب)). [P] فـي شـفق الأوثـان ((الذين يريدون إصلاح البشرية بند 3)) يعود نيتشه ويذكر أغلب ذلك.

ويمكن أخيراً ــ لأجل الإنصاف ــ التساؤل عمّا إذا لم يكن شعوراً جمالياً في الأصل هو الذي ترك البشريّة في هكذا عمىً متطاول الأمد.

هــذا يقتضـــي مـــن الحقيقة فعلاً تصويرياً، وبالمقدار عينه يقتضي من البحّاثة المنقّب أن يمتلك تحكّماً قوياً بالمشاعر.

تواضُعنا غبَرَ أمداً متطاولاً في مناهضة للذوق.

آه! كيف تنبأت بذلك ديوك الله الروميّة!

ـ 14 ـ

لقــد أعدنـــا تصحيح المفاهيم. لقد عدنا متواضعين في كلّ الحقــول. إنـــنا لــم نعــد نشــتق الإنسان من ((الروح)) ومن ((الألوهية))، وإنما صرنا نضعه بين الحيوانات.

إننا نعدّه الحيوان الأكثر قوّة، ذلك أنه الأكثر دهاءً.

إحدى نتائج ذلك هي عقلانيّته.

من جهة أخرى، إننا نحترز من باطل يريد أن يجعل صوته مســموعاً هــنا أيضــاً: إنّه ذاك الذي بمقتضاه يصبح الإنسان المقصد العظيم الكامن للتطوّر الحيواني.

ليس الإنسان، ولا بأي طريقة أو معنى، تاج الخليقة[1].

وإن كلّ كائن من جهته هو على ذات المستوى من الكمال.

وعندما نؤكد هذا، فإننا نؤكد كذلك زيادةً: أنّ الإنسان، نسبيّاً، هــو الحيوان الأكثر فشلاً، الأكثر مرضاً، والأكثر ابتعاداً بشكلٍ خطِرٍ عن غرائزه. وطبعاً، ومع كلّ هذا، هو الأكثر إثارةً!

فيما يتعلق بالحيوانات، فإنّ *"ديكارت"* كان الأوّل الذي بجرأة تستأهل التقديرَ، اجترأ ونظر إلى الحيوان كما لو أنّه آلة[2].

كــلّ فيزيولوجيّتنا اجتهدت لإثبات هذه القضيّة، لكننا لم نعد نستثني الإنسان ــ طبعاً ــ كما فعل "ديكارت":[3] إذ كلّ ما هو

---

[1] فــي النسـخ الــثلاثة التي بين يديّ يستعمل كلمة ((Creacion)) أي الخلــيقة أو المــبروءات أو البَريّة، ورجل علماني يجب أن يستخدم كلمة كائــنات حيــث لا تدلّ على خالق بل على الطبيعة، لكن نيتشه هنا يستخدم هــذا التعبير اللاهوتي بقصد نقضه، وهذا يظهر في كلمة كائن في العبارة التالية.

[2] يقــول ديكارت: ((الحيوان بوصفه ساعة تحكمها اللوالب والدواليب)) المنهج لإحكام قيادة العقل، القسم5.

[3] يقصد قول ديكارت: ((لأنني لم أجد بعد الكفر بالله.. ضلالاً أشدّ إبعاداً للــنفوس الضــعيفة عــن طريق الفضيلة المستقيم، من أن يتوهم الناس أنّ للــبهائم نفوساً من طبيعة نفوسنا))، المنهج، القسم5. وواضح هنا أن نيتشه قــد فهم طبيعة نظر ديكارت إلى الحيوان بوصفه آلة، كونها خطوة لتأكيد تفرّد الإنسان عنه وامتلاكه روحاً مقابل آلية الحيوان، وهو ما ينقده نيتشه.

معـــروف اليوم عن الإنسان يؤدّي بالضبط إلى النقطة التي يُعَدُّ فيها ماكينة.

وقبلاً قد ادُّعيَ أنّ الإنسان عطيّةٌ متأتية من نظام أسمى، هو الإرادة الحـــرّة: الـــيوم نحنُ نقصي حتّى الإرادة بالمعنى الذي يوجب ألاّ تكون بعد معدودة بوصفها ملَكة.

الكلمـــة القديمـــة ((إرادة)) تصـــلح فقط لتشير إلى مفاعيل ونـــتائج، نوعاً من ردّ الفعل الشخصي الذي يستجيب ضرورة لمقدار من الحوافز المتعارضة في جزء والمتوافقة في آخر.

الإرادة لم تعد ((تفعل))، لم تعد ((تتحرّك))..

قبلاً، نُظِرَ في ضمير الإنسان، وفي روحه، دليلاً على أصله العلـــوي، وعلـــى ألوهيـــته. لجعل الإنسان كاملاً، نُصِحَ، على طـــريقة الســـلحفاة، أن يصرف أحاسيسه إلى داخل ذاته قاطعاً علاقـــته بالأرض، وأن يتجرّد من قشرته الفانية: فما يتبقى منه هكذا إلاّ الأصلي، ((الروح الخالص)).

حـــول هـــذا أيضـــاً تأمّلنا جيداً مقوّمين التصوّر: تحصيل الضمير و((الروح))، يعني لنا بدقّة عَرَضاً من نقص نسبيّ في الكائن العضويّ، محاولةً، وتَحَسُّسَ عاشٍ، ضلالاً، وعملاً راهقاً فيما يستنفذ بغير ضرورة الكثير من الطاقة العصبيّة.

إنـــنا لنـــنكر أن يكون ثمّة ما يُبلغ به الكمالَ في حين يُعملَ بضمير.

الروح الخالص جهالة خالصة.

إمّا طَرَحنا من الحسبان النظامَ العصبيَّ والحواس، ((القشرة الفانية)) فإننا نخطئ في الحساب، ولا أكثر.

- 15 -

لا الأخـــلاق ولا الدين في المسيحيّة يلامسان الواقع في أية نقطة.

- دوافع خيالية محضة:

("الله"، "النفس"، "الأنا"، "الروح"، "الروح الحرّة" .. أو كذلك "الجبرية".).

- مفاعيل خيالية محضة:

("الخطيئة"، "الفداء"، "النعمة"، العقاب"، "غفران الخطايا".).

- علاقة بين تكوينات خياليّة:

("الله"، "الروح"، "النفس".).

- علوم طبيعة خياليّة:

(مركـــزيّة الإنســـان داخـــل الكون، مع غياب كلّي لمفهوم الأسباب الطبيعيّة).

- علم نفس خيالي:

(فهـــم خاطئ كليّة للذات، تمثيلات لمشاعر عامّة مُرضية أو غـــير مُرضـــية، وكمثال: حالات العصب السمبتاوي "العصب الودّي"، مع مساعدة من اللغة الإشاريّة لطبع أخلاق ـــ ديني ـــ "الـــتوبة"، "تأنيـــب الضـــمير"، "غواية الشيطان"، "قرب مجيء الربّ").

- غائية[1] خياليّة:

("مملكة الرب"، "الحساب الأخير"، "النعيم الأبدي".).

هذا العالم الوهمي، الخالص الوهميّة، يتميّز، وبسوء واضح، عن عالم الأحلام، لأنّ هذا الأخير يعكس عالم الواقع، بينما ذاك البطلانَ وخسفَ القيمة، والإنكار.

بعـــد إحداث مفهوم ""الطبيعة" كمفهوم مضادّ "لله""، فإنّ كلمة "طبيعي" جعلت مترادفة مع "مذموم أو مستنكر".

---

(1) Teleologia بالمعـــنى الحديـــث الذي أعطاه كريستيان وولف (1679-1754): "ذلـــك الجزء من فلسفة الطبيعة الذي يشرح غايات الأشياء يمكن أن يدعى الغائيّة" [P].

كلّ عالم الوهم ذاك يمدّ جذوره في الكره المقابل لكلّ ما هو طبيعي (حقيقي).

إنّـــه التعبـــير عن نفور عميق من الواقع الحقيقي. لكن بهذا يغدو كلّ شيء مفسَّراً.

مـــن الذي يمتلك الدوافع للتهرب بكذبة من الواقع؟ إنّه الذي يكابد ويعاني منه.

لكنّ المعاناة من الواقع تعني وجود واقع غير ذي توفيق.

هذا الرجحان لمشاعر النفور على مشاعر المسرّة هو السبب في تلك الأخلاق وتلك الديانة الوهمية الصورية:

هكذا رجحان مع ذلك هو وَصَفَة الانحطاط.

- 16 -

إنّ نقـــداً للمفهوم المسيحي عن الله يحملنا إلى إظهار نتيجة مطابقة.

إنّ شعبنا يثق بنفسه، يمتلك كذلك إلهه الخاصّ، وفيه يحترم الظـــروف التي بواسطتها بات في الأعلى، ويوقّر فضائله.. إنّه

يخلّق سعادته بذاته، وشعوره بالقوّة، في كينونة يمكنه أن يتوجّه إليها بامتنانه.

مـــن هـــو غنيّ يتشوّق إلى العطاء. وشعبٌ فخورٌ يستشعر الحاجة إلى إله كي يزجي إليه قرابينه.

الدين بمقتضى هكذا مقدّمة هو شكل من الشكران.

ثمّةَ من يكون ممتنّاً لذاته، ولأجل ذلك يحتاج إلى إله.

هكـــذا إله يجب أن يكون قادراً على الإنعام والإساءة، وفي حـــالاتٍ مـــن وجوده يكون صديقاً وعدوّاً، وينال الإعجاب في الخير كما في الشرّ.

إنّ خصـــاءَ الله، المضادَّ للطبيعة، يُصنع منه فقط إله للخير، سيكون إزاء هكذا أفكار خارج كل ما هو مستحبّ.

فالمـــرء يحـــتاج تماماً إلى إله شرير بمقدار ما يحتاج إلهاً صـــالحاً، كمـــا إلـــى أن لا يُرهن الوجود الذاتي إلى المسامحة والإنسانيّة بكلّ تأكيد.

بـــأي شـــيء يفـــيدُ إلهٌ لا يعرف الغضب والانتقام والحسد والسخرية والمكر والعنف، والذي حتّى لا يعرف الأوار السّاحر والاضطرام الخلاّب للغلبةِ والتدميرِ الهدّام؟

إله كهذا لا يمكن أن يُفهَم ماذا يُفيد شعباً أن يحتازه؟

بكلّ وضوح وتأكيد: إذا انهار شعبٌ، وإذا بشكل قطعي بات يشـــعر أنّ إيمانه بالمستقبل، وأمله بالحريّة، اضمحلّ، وإذا، إذا ارتـــدّ والتفت إلى الوثوق بأنّ الخضوع هو النافع الأوّل، وبأنّ فضـــائل الرضوخ هي مستلزَم الحفاظ على الحياة، حينئذ: فإنّ إلهـــه يجـــب أن يتغيّر.. يصبح منافقاً مرائياً هيّابة، متواضعاً ناصـــحاً بســـلام النفس وبترك البَغْضاء، وبالمسامحة وبالمحبّة للصـــديق كمـــا بالمثل للعدوّ.. يَعِظُ مهذباً الأخلاق دون توقّف، ينسحب إلى كهف الفضائل الذاتيّة، يتحوّل إلى إله للجميع، إلى شخص، على الخصوص، يتوافق مع كلّ العالم.

في أزمان أخرى، يمثّل الله شعباً، وعزم شعب، وكلّ عدوانيّة وتعطش ذات ذلك الشعب للقوّة.

الآن، وبالكاد هو فقط الإله الصالح.

في الواقع، لا يوجد بدائل أمام الآلهة:

إمّا أنهم إرادة قوّة، وخلال ذلك يكونون آلهة شعوب..

أو أنهـــم بطـــريقة تالية عجزٌ عن القوّة. ومن ثم يصبحون بالضرورة أخياراً صالحين.

ـ 17 ـ

حيثما تنحرف إرادة القوّة بأي شكل، فثمّة في الوقت عينه خَوَرٌ فيزيولوجيّ، انحطاط.

ألوهة الانحطاط، تلك المجرّدة من، والمخصيّة في، فضائلها وغرائزها الأكثر حيوية، تتحول ـ لابدّ ـ إلى إله للمنحطين المتدهورين فيزيولوجيا، للضعفاء.

وهؤلاء لا يدعون أنفسهم "ضعفاء" بل "طيبين".

وإنّه لمفهومٌ، دون حاجة إلى علامة لاحقة، في أيّة لحظة من التاريخ أمكن أن يتحقّق الوهم المضاعف لإله صالح وآخر شرير.

ومع الدافع ذاته الذي به يُحدِر المقهورون إلهَهَم إلى الإله الطيب في ذاته، يجرّدون إله الغلاّبين من خصاله الجيّدة.

إنهم لينتقمون من أسيادهم محوّلين إله هؤلاء إلى شيطان.

الإله الصالح مثل الإله الشرير: كلاهما طِرْحُ انحطاط.

كيف أمكن إلى اليوم أن يُسلِّم لبلاهة اللاهوتيين المسيحيين إلى حدّ أن يُقرّر معهم أنّ التطوّر اللاحق لمفهوم الله، بدءاً من

(إلـــه إسرائيل)، من إله شعب، إلى إله مسيحي ــ هو خلاصة جوهرية للخيرـــ يكون ترقياً؟!

حـــتى *"رينان"* نفسه يفعل هذا، كما لو أن رينان يحق له أن يكون أبلهاً![1]

– المناقض يقفز إلى النظر.

إذا ما ظروف الحياة الصاعدة المترقيّة ومتطلباتها، وإذا كلّ مـــا هو قويّ، قَيّمٌ بجسارته، سياديّ، شامخٌ أنوف، بقي مستبعداً مـــن مفهـــوم الله، وإذا الله شيئاً فشيئاً تحدّر ليصبح رمزاً لعصا المتعبين وعكّازهم، ولعوّامة إنقاذ لكلّ من يغرقون، وإذا تحوّل إلى إله ــ الفقراء، وإلى إله الخطأة، إله للمرضى المثاليين من أعلى نمط متميّز، والمحمول "مخلّص" و"فادي" يبقى ــ إن جاز القـــول ــ محمولاً إلهيّاً على العموم، فإذاً عن أيّ شيء يتحدث هكذا تحوّل، هكذا خسفٌ للألوهي؟

واضحٌ: ((مملكة الله)) تنمو هكذا.

فـــي زمـــنٍ مـــاضٍ لـــم يكن الله يمتلك غير شعبه، ((شعبه المخـــتار))، لكـــن من ثمّ، وبالمساواة مع شعبه، مضى صوب الغريـــب، وتغرّب، ومنذ ذلك الحين لم يقدر بعدُ أن يبقى ساكناً

---

[1] يشـــير نيتشـــه إلى كتاب رينان "حياة يسوع" الذي تُظهَر فيه هذه الحيلة كتتامٍ يجري وفق قوانين باطنيّة [p].

في مكان واحدٍ، حتّى إنّه أخيراً قد صادف بيته في كل النواحي، هــو المواطــن العالمي الأكبر، وامتلك من جهته الرقم الأكبر ونصف البشرية.

لكــن إله ((الرقم الأكبر))، هذا الإله الديمقراطي بين الآلهة، لم يتحوّل رغم هذا إلى إلهِ فخور وثني:

لقــد اســتمرّ يهوديّــاً، وإلهَ زوايا.. إله كلّ القراني المعتمة والأماكن المظلمة، والأحياء الوخيمة، للعالم الكامل!

مملكته العالميّة بقيت معدودة، كما قبلاً، مملكة للعالم السفلي، ومصــحّة، مملكــة تحت أرضيّة ــ سردابيّة، مملكة (جيتو)... وبقــي هو نفسه، بالغ الشحوب، بالغ الضَعف، ومنحطّاً... حتّى الأكــثر شحوباً بين الشاحبين، أسياد الميتافيزيقيا، أولئك المُهَق الأفكار قد تسيّدوا عليه[1].

لقــد حــاكوا حولــه نســيج العنكبوت وقتاً كافياً، حتّى نُوّم مغناطيســياً مــن حــركاتهم، وحــتّى انتهى بدوره ليصير إلى عنكبوت[2] إلى ميتافيزيقي.

---

[1] الأمهــق أبــيض الجلد كالجصّ، والشَعر كذلك عموماً. ويقصد الأفكار الشاحبة التجريديّة.

[2] لعــبٌ في الأصل على الكلمات Spinne = عنكبوت، Spinozae= سبينوزا [p]

مــن الآن ولاحقــاً، ينسجُ ـ مُجدَّداً ـ العالمَ، خارج ذاته. [نموذج اسبينوزا].

من الآن وصاعداً، فإنّه يتجلّى مبدياً هيئته في كينونةٍ كلّ مرّة هي أكثر شحوباً وتجريداً،

يـــتحوّل إلـــى ((مـــثال أعلى))[1] إلى ((روح مجرّدة)) إلى ((مطلق)) إلى ((شيء في ذاته)).

انهيار إله وتحطّمه: الله يتحوّل إلى ((شيء في ذاته))[2].

ـ 18 ـ

---

[1] يقول كانط في ((نقد العقل المجرّد)): الجدل الاستشرافي الفصل الثالث، المبحث الأول: في المثال الأعلى بصورة عامة:"إنّ ما هو بالنسبة لنا مثال أعلى، كان في لغة أفلاطون، مثالاً أعلى لذهن إلهي، وهو موضوع إفرادي حاضر بالنسبة لزكانته، وهو الأشدّ كمالاً من كلّ نوع من الكائنات الممكنة، والنموذج الأصلي لجميع النسخ الظاهراتية" [ترجمة أحمد الشيباني عن دار اليقظة]

[2] الشيء في ذاته عند كانط لا يكاد يختلف عن المُثل عند أفلاطون ويكفي أن نـــنظر فـــي تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ص113 ترجمة الشيباني قول كـــانط: "نعـــترف ونســـلم بوجود شيء آخر وراء الظواهر ليس هو نفسه ظاهرة ونعني به الأشياء في ذاتها"

المفهوم المسيحي عن الله، الله كإله للمرضى، الله كعنكبوت، الله كـــروح، هو واحد من المفاهيم الأكثر فساداً حول الله، التي شُـــكّلت فوق الأرض، وبالإضافة إلى ذلك، لعلّه يُمثّل المستوى الأكثر انخفاضاً في مجرى التطوّر المنحدر لنمطيّة الآلهة.

الله متدنّـــئ ليصير مناقضةً للحياة، بدلاً من أن يكون تجليّها الممجَّد، وأزليتها الموطَّدة.

في مفهوم الله، تُعلن وتُذاع العداوة للحياة، وللطبيعة، ولإرادة الحياة!

الله صـــيغةٌ لكـــلِّ النمائم الكاذبة عن (الدنيا) ولكلِّ كذبة عن (الآخرة).

في الله يؤلَّه العدم، وتُقدَّس إرادة العدم.

- 19 -

واقع أنَّ السلالات العتيّة لأوروبا الشماليّة لم تشمئز في ذاتها متنكرة للإله المسيحي، لم يشرّف مزاياها الدينيّة، حتّى لا نتكلّم على ذوقها.

لقــد كــان يجـب أن يتخلّصوا من جهيض الانحطاط هذا، الممراض والمتساقط.

ولكــن إذا لــم يــتحرّروا منه فإنّه يثقل فوقهم، ذلك أنهم لم يمــتلكوا القوة للتخلص منه: لقد جمّعوا داخل دوافعهم المرضَ والشيخوخة والتناقض؛ ومن حينها لم يعودوا لخلق أيّ إله.

قرابة ألفيّتين، ولا حتّى إله واحد!! إنّما وحتّى الآن، بالمقابل، وكمــا عن حقّ ذاتي، وكأمر ختاميّ وأقصى من القوّة الخلاّقة للآلهة ومن الروح المبدع المُخلِّق، قد ساد على البشر هذا الإله المؤســف للتأليهــيّة ـــ الرتيبة المسيحيّة! هذا النغل المنتَج من الانحطاط، المستنبط من الصِفر، والذي هو مفهوم مُنَاقَضَة، فيه قد وجَدتْ كلّ غرائز الانحطاط وكلّ جبانة، وكلّ تعب الروح، صِداقَها.

- 20 -

لست أريد بحكمي ضدّ المسيحيّة، أن أرتكب إجحافاً ضدّ دين قَريــب مــنها، ويتفوّق عليها بالعدد الأكبر من الرهبان، أعني البوذيّة.

كلاهما ـ كدينين ينتميان إلى العدميّة ـ دينا الانحطاط.

لكنهما يختلفان فيما بينهما بالطريقة الأكثر تمايزاً.

إمّا حدث اليوم إمكان مقارنتهما، فإنّ نقد المسيحيّة يدين بالفضل العميق، للحكماء الهنديين.

البوذيّة مئة مرّة أفضل من المسيحيّة.

إنّها تحمل داخل كيانها ميراث عرض المشكلات بطريقة موضوعيّة وباردة، والمتأتّي إثر قرون من حركة فلسفيّة.

مفهوم الله يتمّ تجاوزه عند ظهوره. والبوذية في قرارتها هي الدين الوحيد السلبي بحق الذي يظهره لنا التاريخ، لا بل إنّه في نظريته المعرفيّة (ظاهراتيّة[1] صارمة) لا يعلن ((الصراع المجاهد ضدّ الخطيئة))، وإنّما، مسلّماً تماماً بالحقّ للواقع، يعلن ((الصراع ضدّ المعاناة)).

إنّه، تاركاً وراءه المخاتلة الذاتيّة للمفاهيم الأخلاقيّة، وهذا ما يميّزه جذرياً عن المسيحيّة، يصير ـ متحدثاً بلغتي ـ أبعد عن الخير والشرّ.

الفعلان الفيزيولوجيان اللذان تنهض البوذية وتقوم فوقهما وتأخذهما بالنظر المراقب هما:

---

[1] هذا يحيل إلى نظرية كانت التي بموجبها يمكن للأشياء فقط أن تُعرف فقط كما تظهر لنا وليس كما هي في ذاتها، أي الشيء في ذاته.

1- قابليّة استثارة شديدة في الحساسية، تظهر كقدرة مرهفة للألم.

2- روحنة عنيفة، وحياة بالغة الطول في مفاهيم وسُلوكيّات منطقيّة، والتي تحت نطاقها عانت الدوافع الشخصيّة من التضييع والغبن في نفع الدوافع اللا شخصيّة.

(كلا الحالتين، على الأقلّ بعضٌ من قرّائي ((الموضوعيين))، وعلى مثال ما أعرف أنا، يعرفونهما من التجربة).

لقد شكلت هذه الظروف الفيزيولوجيّة أصلاً لانحطاط وتدهور:

ضدّه "بوذا" يتقدّم بوسائط الصحّة، وفي مواجهته يستخدم الحياة في الهواء الطلق، الحياة الجوّالة، البساطة والاختيار في الطعام، الحذر تجاه كلّ المشروبات الروحية، وذات الحذر من كلّ الأفعال التي تبتعث الصفراء، وتجعل الدم يغلي... ليس ثمّة اهتمام ولا انشغال بال، لا لأجل الذات، ولا لأجل الآخرين. إنّه يقتضي أحاسيس، هادئة أو سعيدة.

وقد أوجد تدابير للابتعاد عن الأخرى المناقضة.. لقد فهم الدماثة، والصيرورةَ دمثاً، كمفضلٍ ومحسن إلى الصحّة .. والصَلاة تغدو مُبعَدَة، كما الشك. ليس من أمر مطلق، وفوق

الكــلّ لا ضـــغط، ولا حــتّى ضمن جماعة ديريّة (التي يمكن النكوص والخروج منها).

كــلّ هذه كانت إجراءات لتشديد الحساسية التأثرية الوسيعة. وللســبب عيــنه، فإنّــه لا يقتضي صراعاً أيّاً كان ضدّ الذين يفكّرون بطريقة مباعِدة. وليس تنهض عقيدة بوذا ضدّ أيّ شيء كمــا ضــدّ مشاعر الانتقام، والكراهية، والضغينة ("العداوة لا تنتهــي عن طريق العداوة": هذا هو المثل المؤثّر في المشاعر عند البوذيّة).

بحقّ: فإنّ هذه المؤثرات الوثيقة تكون كليّة هادّة للصحّة في نظام تغذية أساسي.

التعــب الروحــي الــذي يصــادفه بوذا، والمعبر عنه في ((موضــوعيّة)) بالغــة الكــبر (وهــذا يعنــي ضعف المنفعة الشخصــيّة، وفقد مركز الجذب، وفقد الأنانيّة) يحاربه بالتركيز المتشدّد على الفرد، وعلى تلك المنافع الأكثر روحانيّة.

في عقيدة بوذا، الأنانيّة الذاتيّة مموضَعة كواجب: الـ "كيف تـتحرّر مـن المعانـاة" الذي هو "الأمر الوحيد الضروري"[1] يحدّدان وينظمان كلّ الحميّةِ والنظام العقلي.

(لعلّـه يكـون سانحاً لنا تذكر ذلك الأثيني الذي صنع حرباً علـى العلمـيّة المحضَة، ورسمُ موازاة معه، *"سقراط"*، الرافع للأثـرة الشخصـيّة ــ ضمّن مملكة المشكلات ــ إلى مستوى الأخلاق)[2].

---

[1] انجـيل لوقـا41:10 "فأجـاب يسـوع وقال لها: مرثامرثا أنت تهتمين وتضـطربين لأجل أمور كثيرة* ولكن الحاجة إلى واحد" ونيتشه يستعمله بطريقته.

[2] يقول نيتشه في "شفق الأوثان" مشكلة سقراط:9:"لكن سقراط تكهّن بأمر آخر. رأى ما وراء الأرستقراطية الأثينيّة. عرف أنّ حالته، أنّ جبلّة حالته، لـيس بعـد حالة استثنائية. والنوع نفسه من الانحطاط يُهيّأ بسكون في كلّ الأنحـاء: أثيـنا العجوز تمضي إلى نهايتها. وسقراط علم أنّ كلّ العالم به حاجـة إلـيه .. إلى علاجه، إلى طبه.. إلى احتيالة الشخصي لأجل حفظ الذات.." عن الطبعة الإسبانية لشفق الأوثان، اليانزا، في مدريد.

- 21 -

الظروف التمهديّة للبوذية هي مناخٌ لطيفٌ، وحلاوةٌ عظيمة وتحــرّر في العادات، وغياب كلّي للعسكرية، وواقع أنّها تملك بؤرتها في المراتب العليا كما في مراتب العلاّمين.

إنّها تتطلّب كفاية قصوى السلام الهادئ، الطمأنينة الساكنة، والغياب الكلّي للابتغاء. وغايتها قد حُصِّلت.

البوذية ليست ديناً حيث يُنتظر هكذا فقط الكمال، بل الكمال فيها هو العاديّ.

فــي المســيحيّة تظهر إلى المستوى الأول قبل الكلّ غرائزُ المخضَــعين والمضيَّق عليهم. وإنهم تلك الطبقات الأكثر حطّة التي تبحث في المسيحيّة عن الخلاص.

هــنا كتشاغل، وكعلاج ضدّ السأم، تُمارس مساءلة الضمير حول الخطيئة، النقد الذاتي، التحقيق التفتيشي مع الضمير.

هــنا الحنين إلى قدير ــ يدعى الله ــ يتماسك "عبر الصلاة" باستمرار واقفاً على قدميه.

هنا العالي يُفهم كما لا يمكن أن يوصل إليه، كعطيّة، كنعمة، هنا كذلك ينقص العلَن[1].

المخـبأ والركـن المظلم هما مسيحيّان، هنا يُحتقر الجسد، وتُرفض مراعاة الصحة بعدّها شهوانيّة.

الكنيسـة تقاوم حتّى النظافة (المعيار الأوّل على المسيحيّة بعـد طـرد المسلمين كان إغلاق الحمامات العامّة، التي كانت قرطبة وحدها تملك منها 270 حماماً).

المسيحيّ معنى مؤكد على الفظاظة والقسوة ضدّ ذاته، وضدّ الآخريـن، وعلـى البغضاء ضدّ من يفكّرون بطريقة مختلفة، وعلى إرادة الاضطهاد.

أفكار ظلاليّة ومهيّجة تشغل المحل الأوّل. والحالات الأكثر توقاً إليها، والمعينة بالأسماء الأكثر سمواً، هي حالات الصرع.

نظام التقشف المختار بهكذا طريقة يخدم المظاهر المرَضيّة ويُهيج بشكل فائقٍ الأعصاب.

المسيحيّة عداوة حتّى الموت ضدّ أسياد الأرض وجبابرتها، وضـدّ "النـبلاء"، ومنافسة مستترة وسريّة (إنّها لتهجر الجسد، وتريد فقط النفس).

---

[1] بمعنى العمومية.

المسيحي هو بغضاء لشرف النفس، والفخر، والجبروت. إنه ضـــدّ الحريّة، وضدّ التحرّر الروحي؛ المسيحي بغضاءٌ معادية للأحاسيس، وضدّ سرور الأحاسيس، وضدّ الفرح في النهاية.

ـ 22 ـ

عـــندما تركت المسيحيّة مكانها الأوّل، وطبقاتها الاجتماعيّة الدنيا، والعالم التحتي للعالم القديم، عندما مضت باحثة عن القوّة بيـــن الشعوب البربرية، لم تملك في تنظيمها رجالاً متعبين إذاً، وإنّما داخليّاً وحشيين مقهورين؛ الرجل القويّ إنّما الفاشل.

عدم الرضى عن الذات، والمعاناة بسببٍ من الذات، ليس هو فـــي هـــذه المنطقة كما داخل البوذيّة حساسية مفرطة، وقابلية شعور زائدة بالألم، وإنّما الأوضح بالعكس، رغبة قويّة لتسبيب الألم، وتفريغ التوتر الداخلي في أفعال وتخيلات وأفكار عدائية.

وُجِدت في المسيحيّة حاجة لمفاهيم وقيم بربرية لتصير سائدة علـــى البرابرة: كما هي الحال مع التضحية بالبكر، شرب الدم

فــي المــناولة، احتقار النباهة الذهنيّة والثقافة، العذاب في كلّ أشكاله، الجسدية[1] والعقليّة، والأبهة ذات العظمة للعبادة.

الــبوذية ديانــة الــناس المتخارين، والأجناس البُلهنيّة التي صارت دمثة لطيفة مفرطة الروحيّة، وتستشعر الألم بسهولة (إنّ أوروبا ليست حتّى الآن، ولا بأدنى قدر، ناضجة للبوذية).

البوذية إرجاع لهذه الأجناس إلى السلام والغبطة الهادئة، إلى الانضباط الروحي، إلى حالة غير ذات غلظة في الجسد.

المســيحيّة، بالمقــابل، تبتغــي التحكّم في حيوانات القطيع. ووساطتها لأجل بلوغ ذلك أن تحوّلهم إلى مرضى.

الإضعاف هو الوصفة المسيحيّة للــ "التدجين" وللتمدّن.

الــبوذية دين لنهاية وتعب المدنيّة؛ بينما المسيحيّة ولا حتّى تلتقي أمامها بمدنيّة، وإنها تؤسسها في بعض الأحوال.

- 23 -

إنّ الــبوذية، أقــول مجدّداً، هي مئة مرّة أكثر برودة وأكثر صدقاً وموضوعية.

---

[1] عبر الحواس.

إنّهـا ليست بحاجة لتبرير معاناتها، وحساسيتها تجاه الألم، عبر تأويل الخطيئة. إنّها فقط تقول ما تفكّر به: "أنا أعاني".

عـند البربري، بالمقابل، المعاناة في ذاتها غير مقدّرة أبداً، وثمّة نقصٌ مؤكّدة في الإعراب لنفسه بما يعاني (غريزته تشير عليه، بالأحرى، أن ينكر المعاناة، ويحتملها في صمت).

وهـنا فإنّ كلمة "الشيطان" تكون عمل تعزية حقيقيّة، إذ به يُمتلك عدوّ جبّار ومرهِب، وليس ثمّة ما يُخجِل من مكابدة عدوّ كهذا.

المسيحيّة تمتلك في قراراتها بعض المراءات المخادعة التي تنتمي إلى الشرق. وفي المكان الأوّل تعرف أنّه سيان أن يكون أمـرٌ حقيقياً أو غير حقيقي، وإنّما الأهميّة الكبرى تجاه ذلك أن يعتقد المرء بحقيقته.

الحقـيقة والإيمـان بحقيقةِ أمر: هما عالمان متضادّان من أهمـيّات غريبة إحداهما عن الأخرى؛ شبه عالمين متعاكسين، يُقصد كلّ منهما عبر طريقين مختلفين بالكليّة. ومعرفة هذا كان تقريـباً خلاصة الحكمة في الشرق: هكذا فهمه البراهمة وهكذا فهمه أفلاطون وكلّ تلامذة المعرفة الباطنيّة.

وإذا ــ كمــثال ــ وُجــدَتْ ســعادةٌ في الاعتقاد بتحرّرٍ من الخطيــئة، فإنّ هذا لا يقتضي كمقدّمة منطقيّة أن يكون الرجلُ خاطئاً حقاً، بل أن يحسب نفسه خاطئاً.

لكــن ــ فوق الكل ــ إمّا احتيج إلى الإيمان فحينئذ يتوجّب نفــي الــثقة بالعقل والمعرفةِ والتقصّي[1]؛ والطريق نحو الحقّ يصير طريقاً ممنوعاً.

الرجاء المكين، هو حافز أكثر قوّة إلى الحياة من أية سعادة حقيقيّة ممارَسَة.

من يعانون يجب أن يُسندوا بالرجاء الذي لا يمكن لأيّ واقع أن يجعله باطلاً، ولا لأيّ إنجاز أن يرمي به جانباً، إنه الرجاء بالآخرة. (وبالتأكيد، وبسبب هذه القدرة على إسلاء التعساء فإنّ الأمل والرجاء، بنظر اليونان، يعني شر الشرور، الشرّ الخوّان بحــقّ، وقرارة صندوق الشرور)[2] لجعل المحبّة ممكنةً، يجب أن يصــير الله إنســاناً، وحــتى تبقى تلك الدوافع الأكثر حطّة مصانةً، يجب على ذلك الإله أن يكون شاباً. ولأجل حميّة النساء يجب أن يوضع في الواجهة قديسٌ حلوٌ، وعذراءٌ لأجل الرجال. هــذا يوطّــد الافتراض بأنّ المسيحيّة قد طمحت للسيطرة على

---

[1] هذا علامته في عبارة تورتليانس: أؤمن لأنه مستحيل.

[2] الإشارة هنا إلى صندوق باندورا.

بقـــاعٍ كانت فيها عبادات *أفروديت* و*أدونيس*[1] قد عيّنت مفهوم العبادة.

إنّ ضرورة العفاف تُشدّد الحُميّا وعمقَ الدَوافع الدينيّة، لأنها تجعل العبادة أكثر حرارة وتمجّداً وحساسية.

الحـــبّ حالـــة فيها الرجل، على الأغلب، يرى الأشياء كما ليســت هـــي. القـــوّة الخدّاعة هي هنا في ذروتها، بمثل القدرة المعسولة المغيّرة للهيئة.

من يحبّ يحتمل على العموم أكثر، ويسامح بالكليّة.

لقـــد وجب ابتداع دين يمكن فيه أن تكون ثمة محبّة: وهكذا فإنّ المرء يعلو على جميع سوءات الحياة، ولا حتّى يشعر بها.

لأنّ هذا يتعلق بالفضائل المسيحيّة الثلاث: الإيمان، والمحبة، والرجاء. تلك التي أدعوها أنا بالحذاقات المسيحيّة.

---

[1] لا داعي للإطناب في تفصيل أسطورة أدونيس وأفروديت فهي معروفة. المهمّ رمزها إلى دورة الطبيعة والجفاف وعودة الخصب. وإنه وإن اختلفت الأســماء بين تموز وأدونيس وأتيس وإيزيس فإنّها وكما يقول جيبون تدور كلّها على ذات العبادة. راجع فريزر جزء أدونيس من كتابه الغصن الذهبي وما فيه من تفاصيل لانتشار هذه العبادة حتّى كانوا في هيكل يهوه ينوحون عليه باسم تموز.

الــبوذيّة بالغة النضج ووضعيّة على نحو كافٍ، كيلا يمكنها أن تكون "حكيمة" على هذه الطريقة.

- 24 -

هــنا فقط أريد أن ألامس مشكلة نشوء المسيحيّة. والاقتراح الأول لحــلّ ذلك يقول: المسيحيّة يمكن فهمها فقط انطلاقاً من الأرض التي نشأت فيها.

إنهــا ليســت انتهاضــاً ضدّ الفطرة اليهوديّة، بل بالعكس، نتيجتها ذاتها، ومنطقها الهيّاب مؤدّىً به إلى خاتمة لازمة.

وفي وصفة المخلّص نفسه: ((الخلاص يأتي من اليهود))[1].

الوصــفة الثانـــي تقــول: النمط النفسي **للجليليّ** مع كونه معــروفاً، لكــنّما فقط في انحطاطه الكياني التام (الذي هو في الوقــت عينه بتر وتجسيد لحشد من الملامح الغريبة) يمكنه أن يصلح لما لأجله قد كُرّس، لأجل نمطٍ من فادٍ للبشرية.

كـــان اليهود الشعبَ الأكثر فرادة في تاريخ العالم، ذاك أنهم تجـــاه التســاؤل عن الوجود أو العدم قد فضّلوا باقتناع كلّي لا

---

(1) يوحنا22:4

يـــتزعزع الوجود بأي ثمن: وهذا الثمن كان جعل الطبيعة كلّها زائفة، وتزييفَ كلّ ما هو طبيعيّ، وواقعي، وتزييف كلّ العالم الداخلي على ذات طريقة تزييف العالم الخارجيّ.

راسمين حدّاً ضد كلّ الظروف التي أمكن للشعوب بموجبها أن تحـــيا، والتي أتاحت لها حتّى حينها أن تبقى، خلّقوا انطلاقاً من أنفسهم مفهوماً مناقضاً للظروف الطبيعيّة.

هـــم قلبوا بالتدريج الدينَ، والعبادة والأخلاق، والتاريخ وعلم النفس بطريقة لا يمكن علاجها، ومناقِضة لقيمها الطبيعيّة.

نصادف هذه الظاهرة مرّة أخرى، وبظروف واضحة تماماً، مـــع أنّهـــا على كلّ حال فقط نسخة محضة: الكنيسة المسيحيّة تفـــتقر بالمقارنـــة مع شعب المباركين إلى كلّ ادّعاء بالأصالة. فأكيدٌ بسبب هذا أنّ اليهود هم الشعب الأكثر شؤماً في التاريخ.

في تأثيرهم اللاحق خلّقوا الإنسانيّة الأكثر زيفاً، حيث مع أنّه إلـــى اليوم يشعر المسيحيّ بذاته في مناقضة لليهوديّة، إنما دون أن يدرك كونه النتيجة الأخيرة لليهوديّة.

في سلالات النسب التي وضعتُها للأخلاق[1]، قدّمت نفسيّاً ــ للمـــرّة الأولـــى ــ مفهـــوم التعارض بين أخلاق أرستقراطيّة

---

[1] في كتابه أصل الأخلاق.

وأخـــلاق حـــاقدة، وهذه الأخيرة تنبثق من ((اللا)) المعلَنة تجاه الأولى: لكن هذا بشكل كامل هو الأخلاق اليهود ـــ مسيحيّة.

وحـــتّى يكون ممكناً قول لا لكلّ ما يمثل النشاط المتصاعد للحـــياة، وللتناغم المفلح، والعزم، والجمال، وتوكيد الذات على الأرض، فـــإن طـــبع الحقـــد، يتحول بدهاء، ليبتدع عالماً آخر انطلاقاً من إظهار ذلك التأكيد للحياة كشر، وكأمر مستهجن في ذاته.

منطلقاً من منظور نفسي، فالشعبُ اليهودي هو شعب ذو قوّة حيوية متعنّتة، والذي إذا وجد تحت ظروف غير محتملة، انحاز بعـــزم، انطلاقـــاً مـــن قرارات ذكائه، إلى حفظ ذاته، وإلى كلّ غرائـــز الانحطاط، لا كمحكوم بها بل لأنّه توسم فيها قوّة تعينه كي يفرض وجوده تجاه العالم.

اليهود هم في المكان المعاكس لكلّ المنحطين: لقد أمكنهم أن يمـــثّلوا دور المنحطّيـــن حتّى نقطة خلقِ الوهم بأنهم منحطون، وقَـــدِروا مـــع الـــلا المنكرة للآخرة، يعلنها ممثّل عبقري، أن يضَعوا أنفسهم في رأس زاوية كلّ حركات الانحطاط (كمسيحيّة *بولس*) لكي تُمتلك القدرة على أن تخلق منهم شيئاً أكثر قوّة من أي مذهب آخر يؤكد الحياة.

عند هذا النمط من الناس الذين ــ في المسيحية واليهودية ــ يـتوقون إلى القوة عبر طريقة كهنوتية: فإنّ الانحطاط هو فقط وسيلة.

هذا النمط له مصلحة حيوية في جعل البشرية مريضة، وفي قلب مفاهيم ((خير)) ((شرّ)) ((حقيقي)) ((باطل)) بشكل خطر على الحياة ومفترٍ على العالم.

- 25 -

تـاريخ إسـرائيل يملـك قيمة لا تقدّر كتاريخ نمطي لتغيير طبيعة القيم الطبيعيّة؛ سأشير إلى خمسة أعمال في هذا.

بدئـياً، وقـبل أيّ شيء في أزمان الملوك، إسرائيل ساندت علاقة صحيحة مع كلّ الأشياء، هذا يعني علاقة طبيعيّة، "ويهوه ــ هـم"، كان تعبيراً عن ضمير القوّة، وعن الفرح ذاته، وعن الأمـل المكنون فيه: منه يُنتظر النصر والخلاص، ومعه يُوثق بالطبيعة كي تعطي الشعب ما يحتاج إليه؛ وفوق الكلّ المطر.

"يهوه" هو إله إسرائيل، بالنتيجة إله للقضاء: هذا هو المنطق لكلّ شعب في حالة قوة ويمتلك إدراكاً جيّداً بهذه القوّة.

في احتفالات العبادة تجلّى هذان المظهران لتأكيد الذات عند الشعب:

إنـــه مغتــبط وممتنّ بالأقدار الكبيرة التي بفضلها قد امتلك القوّة، وممتنّ لاتّصاله بتتابع الفصول وتوفيقه في تربية المواشي وفي الزراعة.

حالـــة الأشياء هذه بقيت لزمن طويل معتبرة كمثال، وكذلك عندما صارت زائلة بطريقة محزنة: بسبب الفوضى في الداخل وبســبب الآشوريين من الخارج. لكن الشعب بقي يغذي كرغبة قصـــوى (وأمل أسمى) رؤيا ملك هو جنديّ حقّ وحكم صارم. وبالإضـــافة إلـــى ذلك احتفظ بذلك النمط النبوي (والذي يعني الانتقاد والتقريع في الحال) والذي يدعى *أشعيا*.

لكـــن كـــلّ الانتظار بقي غير مرضٍ. الإله قد هرم ولم يعد يقـــتدر بعـــدُ أن يفعل شيئاً ممّا كان قبلاً مقتدراً على فعله. لقد وجـــب أن يـــترك وشأنه. ماذا حدث؟ مفهومه تغيّر ــ وبدّلت طبيعته ــ وبهذا الثمن استُمسك به.

يهوه إله القضاء لم يعد بعد كوحدة مع إسرائيل وكتعبير عن الشعور الذاتي لشعب، لكن فقط كإله مشروط بالأحوال.

مفهومه تحوّل إلى أداة في أيدي الكهنة المثيرين للفتنة، الذين مـــن الآن وصـــاعداً، فسّروا كلّ سعادة كأنّها ثواب وكلّ نكبة

كعقاب لعدم الطاعة للّه، ونتيجة للخطيّة؛ تلك الطريقة التي هي أساساً الأكثر خداعاً في التأويل، وفي افتراض ((نظام أخلاقي للعالم))، بها، ودائماً، تغيّر المفهوم الطبيعي للـ ((سبب)) و((التأثير)).

إمّا أُبعدت ــ بواسطة المكافأة والعقاب ــ المصادفةُ الطبيعيّة عن العالم، فحينها يُحتاج إلى مصادفة مضادة للطبيعة، منذ الآن كلّ ما هو مضادّ للطبيعي يتّبعها.

وهكذا فمكان الإله الذي يساعد، والذي يحلّ كلّ مصعبة، ويشير، والذي هو في جوهره يجسّد الفعل لكلّ سعادة ملهمة في الإقدام، وفي الثقة بالنفس، يحلّ إله مُلزِم..

الأخلاق لم تعد بعد تعبيراً عن ظروف حياة ونمّو شعب، وليست بعد تمثيلاً لغرائزه الحيوية الأكثر عمقاً، وإنّما تحولت إلى شيء مجرّد، وإلى سوء أساسي في التخيّل، إلى ((عين شريرة)) تجاه كلّ شيء.

ما هي الأخلاق اليهودية، ما هي الأخلاق المسيحيّة؟ المصادفة تضيّع براءتها، والحياة ذات الوفرة تُظهر كغواية خطرة،والجسد المعتلّ يُسمّم بالدودة القارضة، للضمير المؤنّب.

ـ 26 ـ

لم يتوقف الكهنوت اليهودي عند تزييف مفهوم الله، ومفهوم الأخلاق، بل أيضاً:

"لا يمكننا أن نستفيد من كلّ تاريخ إسرائيل، فلنرمه بعيداً". هكذا قال هؤلاء الكهنة.

وهؤلاء الكهنة يحققون تلك الأعجوبة التزيفيّة التي نجد شهادتها تشكّل جزءاً كبيراً من التوراة:

لقد ترجموا إلى دينيٍّ ماضيَ شعبهم، باستخفاف لا شبيه له بكل تقليد، وبكلّ واقعية تاريخية؛ بمعنى أنهم عملوا منه آلية غبيّة لخلاص مؤسَّس على العقاب الذي ينزله يهوه بمن أخطأوا إليه، وعلى المكافأة التي تثبّت وتعزّي أولئك الذين يطيعونه.

ولسوف نشعُر بهذا الفعل من التزييف المخزي للتاريخ، بطريقة أكثر إيلاماً، إمّا لم يكن التأويل الكنسي للتاريخ عبر القرون قد جعلنا لا مبالين تجاه مستلزمات القضايا التاريخيّة.

إنّ الفلاسفة يقدمون عونهم للكنيسة: إنّ كذبة ((النظام الأخلاقي للعالم)) تتسرب عبر كلّ تدرّج الفلسفة حتّى أحدث الفلاسفة.

ماذا يعني ((النظام الأخلاقي للعالم))؟

يعني أنه ــ من بدء الأمر ــ يوجد إرادة إلهية تعيّن ما الذي يجب أن يفعله الإنسان وما لا يجب أن يفعله، وأنّ قيمة شعب أو شخص، في كثير أو قليل، تقاس بمقدار ما تطاع الإرادة الإلهية، وأنّ في مصير شعب أو شخص، تظهر الإرادة الإلهية كمُحاكم، أي كمعاقب أو مجازي، وبحسب درجة الطاعة.

الواقــع الكامـــن وراء هذه الكذبة المؤسفة يعني: ضرباً من البشر المتطفلين، يُفلح وحده في تقييم كلّ الأشياء المقدّسة للحياة.

الكاهن يسيء استعمال اسم الله ويدنّسه: يدعو ((مملكةَ الله)) حالة الأشياء حيث يقرّر هو قيمتها، و((إرادةَ الله)) تلك الوسائل التي بها يُحصّل ويحتفظ بتلك الحالة.

وبكلبــيّة ذات دم بــارد، يَحكــم علـــى الشعوب والأزمان والأشخاص بمقياس مساعدتها أو عرقلتها للسيادة الكهنوتيّة.

ليس ثمّة ما نلاحظه أكثر من عمل أولئك الكهنة:

تحــت يــد الكهــنة اليهود، فإنّ الحقبة العظيمة من تاريخ إسرائيل تحوّلت إلى فترة انحطاط.. النفي من مصر، والمصائب المتطاولة شُكِّلَت بهيئة عقاب أبدي للفترة العظيمة التي كان فيها الكاهن لا يساوي شيئاً.

هــم حوّلــوا تلك الشخصيّات القديرة والعظيمة الحريّة في تــاريخ إســرائيل (وبحســب الضــرورة) إلى منافقين بائسين

ومرائين، أو ((كافرين)). لقد بسَطوا ذاتيّة كلّ الأحداث العظيمة، مضائلين إياها في صيغة بلهاء: ((إطاعة الله أو عدم إطاعته)).

خطوة أخرى بعد على هذا الطريق: إرادة الله ــ وهي تعني الظــروف التي بموجبها تبقى سطوة الكهنة موطّدة ــ يجب أن تُعرف. لأنّه من أجل هذه الغاية يجب أن يوجد ((تنزيل)).

بالألمانية الواضحة: وجدت حاجة إلى أدبيّات مزّورة، وإلى اكتشاف ((كتابات مقدّسة))، وفي ظلّ أبهة طقسيّة عارمة تُنشر، فــي أيّــام كفّارة ومع صرخات مُعْوِلة في شكوى من الخطيئة المتطاولة[1].

إرادة الله بقيــت ثابتة عبر زمن طويل، لكنّ المصيبة الناكبة كانت أنّ الشعب بقي مبتعداً عن الكتابات المقدّسة.

لموسى قد كشفت ((إرادة الله)).. ماذا حدث؟

بتشــدّد وبتــنطّع صاغ الكاهن حتّى كلّ كبيرة وصغيرة من الفرائض التي يجب أن تقرَّب، (دون نسيان قطع اللحم الأطيب، ذاك أنّ الكاهن هو أبداً أكّالٌ بفتيك نَهِم) وما يريده أن يكون، هو ((إرادةٌ إلهيّة)).

مذّاك، كلّ أمور الحياة تغدو منظمّة بهذه الطريقة التي تجعل الكاهن ضرورة لا غنى عنها.

---

[1] يقصد ما فعله عزرا.

في كلّ مكان، في كلّ أحداث الحياة الطبيعيّة، في الولادة، في الزواج، في المرض، والموت، حتّى لا نتكلم عن الذبيحة (التي للأكل)، يظهر المتطفّل المقدّس لينزع عنها سماتها الطبيعيّة: لـ ((يقدّسها))!

لأنّه يجب أن نفهم هذا: كلّ عادة طبيعيّة، كلّ تنظيم طبيعي (الدولـة، المحكمـة، الـزواجات، تجنب المرض والفقر) كلّ ضرورة نابعة من غريزة الحياة، وفي النهاية، كلّ ما يملك قيمة في ذاتـه، يُغيَّر عبر تطفّل الكاهن (أو عبر "النظام الأخلاقي للعالم") إلى شيء يفتقد أساساً إلى القيمة، أو أنّه يضادّ القيمة.

ومن ثمّ فثمة حاجة إلى تصديق، وضرورة لمقتدر مقيِّم، هو منكرٌ للطبيعة ورافضٌ لها في تلك الأمور، وخالق بالتأكيد لقيم.

الكاهـن لا يقيم وزناً للطبيعة ولا يقدّسها. بهذا الثمن عموماً يبقى.

مخالفة الله، وهذا يعني مخالفة الكاهن والشريعة، تُوْصَم الآن باسم ((الخطيئة)).

وسائط العودة للوفاق مع الله، هي بكلّ وضوح، وسائط يبقى معهـا الخضـوع للكهـنة الضمانة الأكثر عمقاً: وحده الكاهن ((يخلِّص))...

منطلقاً من تقييم نفسي، فإنّ ((الخطايا)) عند كلّ شعب منظَّم كهنوتــيّاً تغدو أمراً لا غنى عنه وضرورياً.. تلك الخطايا هي الأدوات الحقيقيّة لبلوغ السلطة، والكاهن يحيى من تلك الخطايا، ويحتاج إلى أن يوجد خطأة.

مــبدأ أعلى: ((الله يغفر لمن يكفّر عن ذنوبه))؛ وبقول أكثر وضوحاً: يَغفر لمن يخضع للكاهن.

- 27 -

فوق أرضية زائفة إلى هذا الحدّ ــ حيث كلّ الطبيعة، وكلّ قــيمة طبيعيّة، وكلّ واقعية، تجد إزاءها، كضدّ، الغرائز الأكثر عمقــاً لجنس متحكّم ــ ترفع المسيحيّة شكلاً من بغضاء خالدة تجاه الواقعية بطريقة لم يُتفوّق عليها حتّى الآن.

((الشــعب المقدّس)) الذي تجاه كلّ الأشياء يحتفظ فقط بقيم كهنوتيّة وكلمات كهنوتيّة وبمنطق متماسك يمكن أن يلقي خوفاً، يفصل عن ذاته ــ كــ ((لا مقدّس)) وكــ ((عالم دنيوي)) وكــ ((خطيئة)) ــ كلّ تلك القوى التي مازالت فوق الأرض.

هــذا الشــعب يستسيغ لدوافعه صياغة أخيرة، منطقيّة حتّى إنكار الذات:

لقــد رفــض ــ كمسيحيّة ــ حتّى الصياغة الأخيرة للواقع، الشعبَ المقدّس، شعبَ المختارين، أي ذاتَ الواقع اليهودي.

هــذه القضيّة هي من الدرجة الأولى: إن الحركة المنتفضة الــثائرة الصغيرة، معمَّدَةً تحت اسم *يسوع الناصري*، هي مرّة أخرى الغريزة اليهوديّة، وبمصطلح آخر، غريزة الكاهن التي لم تعــد تحــتمل الكاهــن كحقيقة؛ هي الاقتناع بشكل وجود أكثر تجريداً، وبرؤيا أكثر لا واقعية للعالم، وهي لاواقعيّة تجاوز تلك المتضمّنة في تنظيم كنيسة: المسيحيّة تنكر الكنيسةَ.

لســت أعــرف ضدّ من وُجِّه ذلك التمّرد الذي يعدّ يسوع – صــواباً أو خطــأ ــ ســبباً له، إن لم يكن تمرّداً ضدّ الكنيسة الــيهوديّة معطياً للكنيسة بالضبط المعنى الذي نتناوله اليوم في هــذه الكلمة. كان تمرّداً ضد ((الصلاح والعدل)) ضد ((قديسي إســرائيل)) ضــدّ زعامات المجتمع؛ ليس ضدّ فساده، بل ضدّ الســلالة، ضــدّ الامتــياز، ضدّ التنظيم، والصياغة، كان شكاً بالإنسان الرفيع، وقولة لا في وجه كلّ الكهنة والربّانيّين.

بيد أنّ الزعامة التي وُضعت هكذا في موضع الشكّ والحكم علــيها، مع أنّ هذا كان للحظة، كانت: الكوخ المرفوع للشعب

اليهودي فوق المياه، والإمكانيّة الأخيرة العسيرة للتمسك بالبقاء، وبقية وجوده السياسي الخاص المتشبث.

إنّ هجوماً عليها كان هجوماً على الغريزة الأكثر عمقاً للشعب، وعلى الإرادة العنيدة للحياة في شعب لم يوجد له نظيرٌ أبداً فوق وجه الأرض.

هذا الفوضويّ القدّيس الذي دعا أسافل الشعب إلى الانقلاب على النظام المسيطر، ودعا المنبوذين و((الخطاة)) والطبقات الدنيا اليهوديّة– وبلغة، هي في حَال التصديق للإنجيليّين، تقود حتّى في يومنا هذا رجلاً للنفي إلى سيبيريا ـ كانَ مجرماً سياسياً، حتّى بالقياس إلى أنّ الجرائم السياسيّة كانت محتملة داخل مجتمع هو بالإطلاق غير سياسي.

هذا ما أوصله إلى الصليب، والإثبات عليه كان اللافتة المعلقة فوق الصليب: مات بسبب خطيئته.

ليس ثمّة سبب للاعتقاد ـ مع تكرار تأكيد هذا ـ أنّه قد مات بسبب خطايا الآخرين.

- 28 -

ثمّـــة ســؤال مختلف بالكليّة: إن كان هو حقاً مدركاً وواعياً لهكذا مناقضة، أو أنّه ببساطة قد عُدّ كمناقضة.

وإني لألمس هنا فقط، المشكلة النفسيّة للفادي..

وأعترف بأنني لم أقرأ سوى كتباً قليلة صعبة كما الأناجيل. وهذه الصعوبات هي بعيدة في طبيعتها عن تلك الصعوبات التي بخاصّة التدليل عليها، فإنّ الاستطلاع المثقف للذهنية الألمانية قد أفلح في إحراز واحد من انتصاراته التي لا تُنسى.

بعيدة هي الحقبة التي فيها أنا أيضاً، كما بقيّة الشباب المتعلّم، تذوّقــت بعقليّة ذكية متأنيّة لفقيه لغوي حصيف عمل *"شتراوس"*[1] الذي لا يضاهى. كنت يومها في العشرين من عمري: واليوم أنا بـــالغ الجديّـــة تجـــاه هذه الأمور. فبأيّ شيء تهمّني مناقضات التراث التقليدي؟ وكيف يستطاع أن تُدعى خرافات القديسين تلك تقاليد؟

---

[1] في عام 1864 قرأ نيتشه بحماسة في بون "حياة يسوع" (6- 1835) تأليف دافيد فريدريك شتراوس، اللاهوتي والهيغلي اليساري [P].

حكايـــات القديســـين هي الأدب الأكثر التباساً وضلالة الذي أمكن أن يوجد!

باســتخدام المـــنهج العلمي، وفي غياب أيّة شهادات أخرى، تبدو لي أمراً محكوماً مسبقاً:

إنّها مضيعة وقت محضة للفقهاء.

ـ 29 ـ

ما يهمّنى هو النمط السيكولوجيّ للفادي.

وهذا النمط أمكنه الظهور في الأناجيل رغماً عنها، حتّى لو شـــوه وأثقل بالقسمات الغريبة التي للأناجيل: ذاك كما شخصيّة "*ســـان فرنسيسكو دي أسيز*" التي يظهر بها في خرافاته رغماً عن تلك الخرافات.

لـــيس ما يهمني حقيقة ما فعله يسوع، وما الذي قاله، وكيف مـــات فـــي الواقع، وإنّما يهمني إن كان نمطه إلى الآن ممكن التخيّل والإدراك، والانتقال بالتقليد.

تلـــك المحاولات التي أعرفها بدءاً من قراءة الأناجيل حتّى قصة ((نفس)) تبدو لي دلائل لنفسيّة طائشة مستنكرة.

السـيد *رينان*، هذا المهرج النفساني، أضاف المفهومين غير الملائمين، الممكن تخيلهما في هذا الصدد حول التفسير المتعلق بنمط يسوع: مفهوم العبقري، ومفهوم البطل.

لكـن إن وجد ثمّة مفهوم لا إنجيلي فذاك هو مفهوم البطل. ويقيـناً، فإنّ المضادّة لكلّ صراع، ولكلّ شعور ذاتي بالصراع تحوّل هنا إلى غريزة وطبع: العجز عن المعارضة والمقاومة ينقلب هنا أخلاقاً. ("لا تقاوم الشر" تلك هي الحكمة الأكثر عمقاً في الأناجيل، ومفتاحها، بمعنى مؤكد).

المسـرّة فـي السلام، والوداعة،وفي عدم القدرة للصيرورة معادياً.

ماذا تعني البشارة؟

الحياة الحقيقيّة، الحياة الأبديّة، توجد ــ لا كوعد، بل كوجود حقّ ــ هنا في نفوسنا:

كحياة في المحبّة، في المحبّة بلا تحفظات، بلا شروط وبلا استبعادات.

الجمـيع هـم أبـناء الله ــ ويسوع لم يدّع شيئاً لذاته على الإطلاق ــ وكلّ رجل هو كابن لله مساوٍ لكلّ رجل آخر.

جُعـل يسـوع بطـلاً! وأيّ فهـم سـيء تشير به الكلمة ((عبقري))!

كلّ مفهومنا، كلّ مفهوم حضارتنا عن ((العبقرية)) لا يملك أيّ معنى في العالم الذي عاش فيه يسوع.

وللتكلّم بصرامة عالمٍ بوظائف الأعضاء، فالأكثر صواباً أن تكون بدل كلمة عبقري كلمةٌ مختلفة كليّة: كلمة معتوه.

نحن نعرف حالة من سرعة التهيّج المرضي لحاسة اللمس، حيث يُرتَجف ويُرتدّ أمام أية ملامسة، وأمام فكرة إمساك أيّ شيء صلب.

إنّ عادة فيزيولوجيّة كهذه تترجم إلى نهايتها المنطقيّة، كغريزة بغض ضدّ كلّ واقعيّة، كهروب إلى مالا يُعرف وإلى مالا يمكن فهمه، ككره لكلّ صياغة، ولكلّ مفهوم للزمان والمكان، كضدّ لكل ما هو صلب، معتاد، منظّم، كنيسة، وكشعور ذاتي بأنّها في منزلها عندما تكون في عالم غير ملموس بأيّ نوع من الواقعيّة، عالم فقط هو ذاتيّ جوانيّ، عالم ((حقيقي!))، عالم ((سرمدي))... "ملكوت الله داخلكم"[1].

---

[1] في لوقا 17:20-21 "ولمّا سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله أجابهم وقال لا يأتي ملكوت الله بمراقبة* ولا يقولون هو ذا ههنا أو هو ذا هناك لأنّ ها ملكوت الله داخلكم" ولكن بعض القراءات تورد بينكم أو قريب منكم، ونعرف أنّ المعمدان ويسوع كانا يعظان باقتراب الملكوت.

ـ 30 ـ

الكره الغريزي للواقع: نتيجةً لقدرة متطرفة للمعاناة والتهيّج، التي لا تريد إطلاقاً أن تكون ملموسة، لأنّ أي تماس مع الواقع ولمس، يؤدي إلى شعور مفرط وردّ فعل عميق.

الاستبعاد الغريزي للتبغّض، ولكلّ عداوة، ولكلّ محدودية وتَجَافٍ في المشاعر: ينتجُ من قابلية متطرّفة للمعاناة والتهيّج، والتي تشعر بكلّ مقاومة، وبكلّ ضرورة للمقاومة، كمنافاة للمسرّة لا يمكن احتمالها (هذا يعني: كضرر وتهوّر معاكس في غرائز حفظ الذات) وتدرك الغبطة الممجّدة فقط كتحقّق في عدم ـ المقاومة لأيّ شيء أو لأي أحد، لا للمصيبة ولا للشر، وتدرك المحبّة كإمكانية وحيدة وأخيرة للحياة.

هذان هما الواقعان الفيزيولوجيان اللذان فوقهما وبهما نمت عقيدة الخلاص: إني أدعوها تطوّراً رفيعاً لمذهب اللذّة[1] فوق أرضيّة ممرّضة بالكليّة. وبقرابة باطنية معها، ورغم الدعم

---

(1) عقيدةٌ بحسبها سعادة ومقصدية الفرد، وبذات الأمر معيار الأخلاق عموماً، توجد فقط في الشعور باللذة.

المقـــويّ من الحيوية والطاقة العصبيّة اليونانية، تقوم الأبيقورية[1] التي هي عقيدة الخلاص الوثنية.

أبـــيقور كان منحطاً نمطيّاً: لقد كنت الأول في معرفة كيف كـــان. إنّه الخوف من الألم حتّى من أضأل قدرٍ من الألم. وهذا المذهب لا يقدر أن ينتهي بأيّة طريقة إلاّ إلى ديانة المحبّة.

- 31 -

لقد قدّمت فيما سلف جوابي عن المسألة.

وقد تأسس الجواب على هذه المقدمة: أنّ شخصيّة المخلّص قـــد وصلت إلينا متحوّلة الشكل بقوّة. وهذا التحوّر الشكلي تقوم فـــيه احتمالية كبيرة: فلأسباب عدّة فإنّ هكذا شخص لا يقدر أن يبقى نظيفاً، كاملاً، حرّاً من التزيّدات.

وكمـــا كان الوسط الذي تحرّك فيه ذا هيئة غريبة، وكذلك، فـــوق الكـــلّ، التاريخُ وطبيعة الجماعات البدئيّة المسيحيّة، كان

---

[1] يذهب أبيقور إلى أنّ اللذّة أساسٌ للسعادة. ولكنّها تلك اللذّة غير المعقوبة بـــألم وعلـــى هـــذا تُقتضى الحكمة. لكن ومادام أبيقور يرى في اللذة خيراً طبيعـــياً أصيلاً فإنّ الكنيسة رفضته باعتبار هذا النزوع نزوعاً دنيوياً، لكن ما يقوله نيتشه هنا يلقي ضوءاً من جهة أخرى على المسألة بينهما.

واجــباً أن تــترك آثارها فيه، فلقد انعكست هذه الطبيعة فوقه، وأعطــته ســمات كــان ممكناً أن تدرك فقط في الصراع وفي مرامي الدعوة.

ذلك العالم العجيب والمعتلّ الذي تدخلنا إليه الأناجيل ـــ عالم كما لو أنّه متأتٍ من رواية روسية، حيث تبدو قد تلاقت رذالة المجتمع والعاهات العصبيّة، والبلاهة "الطفليّة"[1] ـــ وجب على كلّ حال أن يترك ذلك الشخص أكثر رعاعيّة وخشونة:

أولــئك الرسل الأوائل، على وجه الخصوص، ترجموا إلى جلافــتهم وجوداً يعوم كليّة عبر الرموز والأشياء غير الممكنة الفهم، وذلك للتمكن من فهم شيء عنه.

وعــندهم أنّ نمــط المخلّــص فقط يوجد بعد أن يتمكّن من التواؤم شكلياً مع هيئات معروفة أكثر... النبيّ، المسيح، الحكم الآتي، معلّم الأخلاق، صانع المعجزات، يوحنّا المعمدان، كانوا كذلك إمكانات لعدم التعرّف عليه والخطأ في صورته.

لســنا نســتهين فــي النهاية، بما هو خاصٌّ بكلّ التوقيرات الكبــيرة، وبالأخص بما للتعصّبات: إنّها تمحو من الموجودات المحترمة الملامح والمميزات الأصليّة، التي غالباً تكون مضنية الغرابة،بل إنّها ليست حتّى تراها.

---

[1] إشارة إلى رواية الأبله (1868) لديستويفسكي.

ممّا يؤسف له أن دستويفسكياً لم يحيَ قريباً من الأكثر إثارة بيـن كـلّ المنحطين؛ أعني بعضَ من يمكنه أن يدرك الشعور المؤكد بالتأثير الجاذب لخليطٍ من الرفعة والمرض والطفولية.

نقطـة أخيرة للنظر: هذه الشخصيّة فيما يتعلق بالانحطاط، يمكنها أن تكون بالفعل متصفة بتعدّدية ومناقضة فرديّة، وهكذا إمكانـية لا يمكن أن تستبعد بالكليّة. مع ذلك كلٌّ يغرينا باطّراح هـذا وبكـل تأكـيد، فإنّ التقليد يجب أن يكون في هذه الحالة، وبتميّز، أميناً وموضوعياً، بينما نمتلك أسباباً لافتراض العكس، بحقّ.

وسراعاً ما تظهر مناقضة بين المبشر في الجبال والبحيرات والسـهول ذي الهيئة المدانية لـبوذا فوق أرض أبعد ما تكون عـن الهنديّة فتعطي تأثيراً غريباً، وبين ذلك المتشدّد المهاجم، العدوّ اللدود للربّانيين والكهنة، والذي مجّده خبثُ رينان بوصفه ((المعلّم الأكبر في الاستهزاء))[1].

شخصـيّاً، لسـت أشـكّ أنّ هذا القدر الوافر من الصفراء (وكذلـك الألمعيّة) قد صُبَّ فوق شخصيّة المعلّم من قبَل الهمّة المُهاجـة للتبشير المسيحي: لقد صار معلوماً تماماً، النقص في

[1] شاهد من رينان "حياة يسوع" 1863 [P]

التدقيق المتحرّج عند كلّ المتعصبين الروحيين عند تنظيم "دفاعهم" من خلال المعلّم.

عندما كانت الجماعة الأولى محتاجة، ضدّ علماء اللاهوت، للاهوتي متشدّد، حماسيّ، غضبيّ، لوذعيّ الكلام بتخابث، فإنّها خلّقت "إلهها" تبْع حاجاتها، وبذات الطريقة وضعت في فمه، دون أدنى تردّد، تلك المفاهيم، التي هي كليّة لا إنجيليّة، والتي لا يمكن اجتنابها والاستغناء عنها: كمفهوم "العودة" و"الدينونة الأخيرة" وكلّ صنف من الآمال والوعود الزمنيّة.

- 32 -

أعارض بإلحاح، مرّة أخرى، فعل تضمين "المتعصّب" في شخصيّة الفادي المخلّص:

تلك الكلمة الوحيدة ((المتعجرف)) يستخدمها رينان تكفي بذاتها لإلغاء تلك الشخصيّة.

تقوم البشارة، بالضبط، على أنّه ليس ثمّة تعارضات، وعلى أنّ "مملكة السماوات" خاصةُ الأطفال.

الإيمان المستشعَر هنا ليس إيماناً مكتسباً عبر الصراع وفي المعــركة، إنّما يوجد عبر مبدأ، وإنه بقول أكيد صبيانيّة مرتدّة صوب الحقل الروحي ومتعلق به.

حالــة الــبلوغ المتأخّر وغير النامي في العضوية، كنتيجة للتــنكّس الجســدي، هــي حالــة مألوفــة، علــى الأقل عند الفيزيولوجيين.

هكــذا إيمــان لا يحتدم ولا يقرّع، ولا يقاوم، وليس يمسك (بالســيف)، ولا حتّى تراوده فكرة أن يتمكن يوماً من أن يباعد بيــن الــناس. وإنّه ليس يثبت ذاته لا عبر العجائب، ولا عبر المكافــأة، ولا الوعــود المؤمّلــة ولا بــالأدنى عبر ((الكتاب المقــدّس)): هــو ذاته في كلّ حين عجيبته، مكافأته، وتوكيده، و"مملكة الله".

هذا الإيمان لا يصوغ ذاته البتّة، وإنّه ليحيا ويحامي عن ذاته بدفع الصياغة عنها.

فــي الواقع، فإنّ تقلبات المحيط واللغة والتكوينات التربوية الســابقة تشــكّل دائــرة مؤكدّة من المفاهيم: المسيحيّة الأولى تستخدم فقط مفاهيم يهود ـــ ساميّة (وكمثال فإنّ الأكل والشرب فــي العشاء السرّي تشكّل جزءاً من هذه المفاهيم، والتي كحال كلّ يهودي، فإنّ الكنيسة تستعملها بطريقة بالغة السوء).

ولكن يجب الحذر من أن يرى في تلك المفاهيم أكثر من لغة رمــزية، أو أكثر من سيميائيّة، أو حالة تتيح التعبير من خلال استعمال الاستعارات.

إنّ واقعــة عدم أخذ الكلمة حرفيّاً، هو عند أولئك المضادين للواقع، هو بالضبط الظرف الأوّلي للتمكّن من الكلام عموماً.

بين الهنود استعملت الأفكار السنخيّة[1]. وبين الصينيين أفكار لاوتسو[2]، دون الشعور بأدنى تخالف.

---

[1] تعنــي الســامخيا العــدد، وفيها مثلاً العناصر الأربعة والعشرين التي تــتألف منها المادة. هذا المذهب قد وجد عرضه المنهجي في السامخيا ــ كاريكــا العــائد إلى القرون الأولى بعد أوغسطس. وقد تخلّى المذهب عن الوحدانــية البرهمانــية وقرّر وجود ثنائية أزلية: مادية وروحية. وهذا ما يشكل تناقضاً في الفكر الهندي المنكّر في عمومه للعالم، وإن حاول الإبقاء على النفس.

[2] الــتاوية تشــكل في الصين خروجاً عمّا في فكر الصين عموماً من لا روحانية سرّيّة صوفية. فكونفوشيوس لم يكن نبيّاً ــ وهذه عظمته وعظمة الصــين معــه ــ بل معلّماً. أما لاوتسو فيعرض في التاو تي كنغ عقيدته الروحانــية، إذ التاو هو المطلق، السرّي بالمطلق، هو الخفيّ غير المعرّف باسم، الذي لا يسبر له غور ولا يتصوّر أو يمكن تخيّله. والفضيلة الخاصة بالــتاوية هي فضيلة السلوك في الطريق السرّي للخلاص. وما أشدّ تناقض التاو مع ذهنية الصين، فليس غريباً أنّه بقي على الهامش.

يمكن تسمية يسوع، مع ضرب من التسامح في التعبير، بـــ "الروح الحر"، فلا شيء ثابت وعقيدي يهمّه: الحرف يقتل، كلّ ما هو ثابت نهائي يقتل.

إنّ مفهوم خبرة الحياة، كما فقط يعرفه هو، هو في مناقضة لكلّ شكل من الكلام، والصياغة، والقانون، والإيمان والعقيدة.

إنّــه يــتكلّم فقط على ما هو باطنيّ قلبيّ: ((حياة)) ((حقّ)) ((نور)) هي كلماته التي تعبّر عمّا هو أكثر عمقاً باطنيّاً[1].

كــلّ مــا يبقى، كلّ الواقع، كلّ الطبيعة، اللغة ذاتها، ليست تمتلك عنده إلاّ القيمة التي لإشارة، ولمثَل.

عــند هــذه النقطة ليس حسناً، ولا بأية طريقة، الوقوع في الخطأ، حتّى مهما يكن كبر الإغراء الموجود في الحكم المسبق المسيحي، أعني، الكنسي: إنّ رمزيّاً كهذا، بامتياز، يوجد خارج الديــن، خارج مفاهيم العبادة، وخارج كلّ الكتب وكلّ فنّ. كلّ حكمــته تقــوم على أنّ الاعتقاد بأنّ أشياء كهذه هي موجودة، حماقةٌ صرف.

الحضـــارة غــير معروفة حتّى سماعاً، وليس ثمة ضرورة توجب عليه أن يحاربها، وأن ينكرها.

---

[1] إنجيل يوحنا 14: 6 "قال له يسوع: أنا هو الطريق والحقّ والحياة" كذلك "أنا نور العالم"!

نفـــس الأمـــر يقـــال عن الدولة، والنظام والمجتمع المدني، والعمل والحرب: إنّه لا يملك أبداً دافعاً واحداً لإنكار ((العالم))، أبـــداً لا يملـــك أدنى فكرة عن المفهوم الكنسي لـــ ((العالم)). الإنكار بشكل أكيد وبالكليّة، غير ممكن عنده.

بالمثل ثمّة نقصٌ في التحاور الجدلي، وفي التفكّر بأن إيماناً و((حقـــيقة)) يمكـــنهما أن يكونا مُثبتين بالحجج (أدلته: "أنوار" داخلـــيّة، مشـــاعر باطنـــية بالمسرّة وتأكيدات الذات الداخليّة، وبالأخصّ "دلائل القوة").

هـــذه العقيدة لا تقدر حتّى أن تأتي بقول مناقض، ولا تدري إن وُجـــد أو يمكن أن يوجد عقائد أخرى، ولا يمكن أن تتخيّل، بأي طريقة، شكلاً آخر معاكساً للحكم الذي لها، وحيث تصادفه فإنها في أعماق شعورها تأسى لذلك العمى ــ ذاك أنّها هي التي ترى النور.. غير أنّها لا تشكل أية معارضة البتّة.

- 33 -

فـــي كلّ السيكولوجيا "الإنجيليّة" ثمة غياب لمفهوم الخطيئة والعقاب، وكذلك الأمر مع مفهوم الجزاء.

إنّ الخطيئة ملغاة، وأيةَ نسبةِ مباعدةٍ تراتبيّةٍ بين الله والبشر.

يقيناً هذه هي بشارة "العهد الجديد"، السعادة ليست وعداً، وغيرُ مرتهنة بالظروف؛ إنّها الحقيقة الوحيدة، وكلّ ماعداها يبقى إشارات للحديث عنها والدلالة عليها.

ناتجُ هذه الحالة يَتجلّى في ممارسة جديدة، ممارسة إنجيليّة بحصر المعنى.

ليس "الإيمان" هو الذي يميّز المسيحيّ: الفعل المسيحي يُماز بنمط مختلف من الفعل؛ إنّه ل يتقدّم بمقاومة لمن يسيء إليه، ولا حتّى بواسطة الكلمات، ولا في قلبه، وليس يمايز بين الغرباء والأدنيين، بين اليهود وغير اليهود. (القريب حقّاً هو الأخّ في الإيمان، اليهودي). ليس يزعل من أحد، ولا يحتقر أحداً أو يزدريه، إنّه ليس يُرى في المحاكم، ولا يتقاضى فيها (لا تحلف)، لا ينفصل عن امرأته تحت أيّ ظرف، ولا حتّى في حالة الخيانة المثبتة عليْها.

إنّ كلّ ذلك في أساسه مبدأ واحدٌ، والكلُّ نتائج دافع واحد.

حياة "المخلّص" لم تكن شيئاً آخر غير هذه الممارسة، وكذلك كان موته.

ليس ثمة حاجة فيه إلى صيغ وطقوس في علاقاته مع الله، ولا حتّى ثمّة حاجة إلى صلاة. ولعله صارفٌ نظره عن كلّ

العقــيدة الــيهودية في التفكير والمصالحة. عارفاً أنّه فقط عبر الحــياة الممارســة يمكــن للإنسان أن يختبر "الإلهي" "المجيد" الإنجيلي" ودائماً "كابن لله".

الطــريق إلــى الله لــيس "المغفــرة" ولا "الصلاة من أجل الغفران". الممارسة الإنجيليّة هي، يقيناً، الله.

مــا يُلغى ويبطل مع الأناجيل هو اليهودية بمفاهيم "الخطيئة" "مغفرة الخطايا" "الإيمان" "الخلاص عبر الإيمان" ـ كلّ العقيدة الكنيسيّة اليهودية ألغيت في البشارة الجديدة.

الغريــزة العمــيقة للكيفــيّة التي يجب أن يعاش فيها لأجل الشعور "بالمجد السماوي" "بالخلود"، في حين ولا بأيّ سبيل آخر يستشــعر المــرء أنّــه في ذلك "المجد السماوي"، هذا هو فقط النفسيّة الحقّة "الخلاص".

إنّه سلوكيّة جديدة، لا إيمان جديد.

- 34 -

إمّا أمكنني أن أفهم شيئاً عن هذا "الرمزاني" الكبير، فذاك أنّه أخذ كوقائع وكحقائق، فقط تلك الأمور الجوّانيّة، وأنّه قد عدّ كلّ

مـــا بقـــي، كلّ ما هو طبيعيّ، زمنيّ، خاصٌّ وتارخيّ، رمْزاً، وإمكانية أمثال.

مفهوم "ابن الإنسان" ليس مفهوماً عن شخصيّة ملموسة واقعاً وتنتمـــي إلى التاريخ، كشيء مميّز ومتفرّد، وإنّما لحقيقة خالدة، وكرمز نفسي محرَّر من مفهوم الزمن.

ذات الأمر يقال، وبمعنى أكثر إسماءً، عن إله هذا الرمزاني النموذجي، وعن مملكة الله، ومملكة السماوات، وعن ماهية ابن الله.

ليس ثمة ما هو أناني عن المسيحيّة وأقلّ مسيحيّة من فظاظة الكنيسة، التي تتحدث عن الله كما عن شخص، وعن "مملكة الله" التـــي تقترب، عن "مملكة السماوات" الماورائية الأخرويّة، عن "ابن الله" الذي هو الشخص الثاني في الثالوث.

كلّ ذلك ــ مع إتاحة السماح لي بالتعبير ــ لكمة على العين (ولكن آهٍ على أية عين) عين الإنجيل. وقاحة تاريخيّة ــ عالمية في سخريّة من الرمز.

لكـــن هـــذا واضح (لا ليس واضحاً للجميع، أسلّم بذلك) ما مدلول العلامة "أب" و"ابن".

مـــع كلمـــة "الابن" يتمّ التعبير عن الدخول في إحساس كلّي بتشكّل وتجلّي كلّ الأشياء (الغبطة)، ومع كلمة "الآب" يعبّر عن هذا الإحساس نفسه، الإحساس بالأبديّة، والكمال.

إننـــي لأخجل عند تذكّر ما فعلته الكنيسة بهذه الرمزية: ألم تضـــع تحت مظلّة الإيمان المسيحيّ تاريخاً انفيتريونيّا؟[1] أو لم تقدّم عقيدة "الحبل بلا دنس"، وإنّما هي بهذا تدنس الحبل؟

"مملكة السماوات" هي حالة قلب، ليست شيئاً يأتي من "فوق" أو أنّه "حياة ما بعد الموت".

كلّ مفهومات الموت الطبيعي تنقّصُ الإنجيل": فالموت ليس جسراً ولا عبوراً. إنّه منتقص لأنّه يشكّل جزءاً من عالم بالكليّة مخـــتلف، ووحـــده واضحٌ جليّ، ووحده نافع لتهيئة علامات . "ســـاعة الموت الأخيرة" ليست فكرة مسيحيّة، "الساعة" الزمن، الحـــياة الزمنيّة في الجسد وأزماتها، لا توجد عند حامل البشارة الجديدة.

"مملكـــة الله" ليســـت شيئاً ينتظَر، لا تمتلك أمساً، ولا آتياً، وليست تحل في "الألفيّة"[2].

---

[1] يروي هزيودس في Teogonia "944" ولادة هرقل من ألكمينا زوجة انفيتريون، حيث واصلها زيوس كبير الآلهة.

[2] انظـــر رؤيـــا يوحنا 20: 2 "فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبلـــيس والشيطان وقيّده ألف سنة" و20: 4 "والذين لم يسجدوا للوحش ولا

هي خبرة قلب وممارسته، توجد في كلّ مكان، ولا توجد في أيّ مكان.

- 35 -

هذا "الراعي الصالح" مات، مثلما حيي، ومثلما علّم، لا لكي "يفدي الإنسان" لكن لأجل أن يري كيف ينبغي أن يُعاش.

ما تركه كميراث للبشرية كان الممارسة:

تصرّفه أمام الحكّام، وأمام الجنود، وأمام متهميه والمشتكين عليه، وأمام كلّ صنف من وشاية وسخرية.. تصرّفه فوق الصليب.

إنّه لا يعترض ولا يدافع عن نفسه وحقّه، لا يتقدّم بأية خطوة ليبعد عن نفسه اللحظة الأكثر حرجاً بالموت، بل إنّه يستدعيها. إنّه يتضرّع، ويكابد، ويحبّ أولئك الذين يسيؤون إليه.

لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة".

تلـــك الكلمـــات الموجّهـــة إلى اللصّ على الصليب تحتوي الإنجيل كلّه: "حقاً كان رجلاً مقدّساً وباراً، وابناً لله" قال اللص[1].

"إمّـــا كان هذا حقيقة ما تدركه، أجاب المخلّص، إذاً ستكون في الفردوس، وتكون أنت أيضاً ابناً لله"

إنّه لا يقاوم، ولا يهين، ولا يحمّل المسؤولية أحداً.. لا يقاوم أبداً الشرير، بل يحبّه.

- 36 -

فقط نحن، تلك النفوس المتحرّرة، من يملك ظروفَ تفهّم أمر قـــد جـــرى فهمه فهماً خاطئاً خلال 19 قرناً خلت: نملك تلكَ الـــنزاهة الحائلة إلى غريزة وهوى، والتي قامت بالحرب ضد

---

[1] - يذكر متّى أنّ قائد المئة والذين معه قالوا "حقّاً كان هذا ابن الله" 27: 54 - وقريـــبٌ مـــنه مـــرقس 15: 39- أمّـــا لوقا فيروي عن قائد المئة "بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً" 23: 47 أمّا ونحن نجد المصلوبين يهزآن بيسوع قبلاً، نجد أحدهما مع ذلك يقول في لوقا: "أمّا هذا فلم يفعل شيئاً ليس فـــي محلّـــه" يقول عن يسوع ويطلب منه أن يذكره في ملكوته فأجابه هذا "الحـــق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس" 23: 41-43. فمزج نيتشه من كلّ هذا ما أثبتَه.

"الكذبة المقدّسة" أكثر ممّا ضدّ أية كذبة أخرى.. كان هناك بعدٌ لا يُحدّ عن حيادنا المحببَ والحَذِر، عن ذلك الانضباط الروحي الذي فقط جعل ممكناً كشف أشياء غريبة إلى هذا الحدّ ودقيقة: في كلّ الأزمان، جرى البحث، بأنانية صفيقة، لتُنظر في الأشياء فقـط المصـلحة الشخصيّة؛ وفوق ما يناقض الإنجيل رُفع بناء الكنيسة.

مـن يبحـث عن دلائل ألوهية متهكّمة تحرك الخيوط خلف اللعـبة الكبيرة للعالم، سيصادف سنداً واهياً في إشارة الاستفهام الواسعة التي تُدعى المسيحيّة.

كـون البشـرية قد خضعت أمام المضاد لما كان الطبيعي الأصـيل، والفحوى، والحقّ الإنجيلي، وأنّه في مفهوم "الكنيسة" قد قُدّس يقيناً ذاك الذي اعتبره حامل البشارة أدنى منه ووراءه: عبـثاً يبحث في التاريخ عن شكل أكثر إمعاناً في السخرية من هذا.

- 37 -

عصرنا متباهٍ وفخور بحسّه التاريخي: كيف أمكن له أن يقنع بالـبطلان اللامعقـول بأنّـه في مبتدأ المسيحيّة توجد الخرافة

الخشنة لصانع العجائب والفادي؟ وأنّ كلّ الروحي والرمزي هو فقط توسّع لاحق؟ بالمقابل، فإنّ تاريخ المسيحيّة بدءاً من الموت فوق الصليب هو تاريخ سوء فهم ـ يزداد جلافة ـ لرمزية أصليّة.

مع كلّ توسع للمسيحيّة فوق الجماهير الأكثر امتداداً ورعونة، والتي ينقصها أكثر فأكثر وبشكل متزايد الظروف التي ولدت فيها المسيحيّة، يكون ثمّة ضرورة متزايدة لجعلها (أي المسيحيّة) أكثر عموميّة، ولبربرتها.

لقد تمثّلت وامتصّت كلّ العقائد والطقوس التي لكلّ العبادات الباطنيّة الديماسيّة في الإمبراطورية الرومانيّة وتفاهات كل أشكال الذهنية المريضة.

قدر المسيحيّة المشؤوم قام في حتميّة أنّ إيمانها الخاص يتضمّن ما يعود به مريضاً بهذا القدر، وبهذه الحطّة، وبهذه السوقيّة، مثلما أنّ الضرورات التي سعت لإشباعها كانت مريضة ومنحطة وطغاميّة.

بنهاية الأمر فإنّه قد جُيّرت إلى الكنيسة، البربريةُ المريضة لتشكيل القدرة بوصفها كنيسة.

الكنيسة، هي هذا الشكل من العداوة حتّى الموت لكلّ استقامة ولكلّ سموّ في النفس، لكلّ صقل للهمّة الروحيّة، ولكلّ إنسانيّة حرّة وكريمة.

القيم المسيحية مقابل القيم الأرستقراطية: هكذا، نحن فقط، نحن تلكم النفوس المتحرّرة، أعدنا تأسيس هذه المناقضة في القيم، المناقضة الأكبر التي قد وُجدَت.

- 38 -

لا أستطيع هنا أن أحبس أنّة وأكتم آهة.

ثمة أيّام يحكمني بها شعورٌ أكثر قتاماً من أكثر السوداويات قتامة: هو احتقار الإنسان.

ولكيلا أدع مجالاً للشك حول ما أحتقره ومن الذي أحتقره: فذاك هو إنسان اليوم، الإنسان الذي بكل شؤم أعاصره. إنسان اليوم يخنقني بأنفاسه النتنة الملوّثة.

تجاه الماضي، وكما كلّ الدارسين المقدّرين، فإني أكنّ مسامحة كبيرة، هذا يعني سيطرة على النفس شهمة كريمة:

أعبرُ باحتراس كئيب هذا البيمارستان الذي كأنه العالم خلال ألفيّات كاملة، والذي بات يدعى الآن "المسيحيّة" و"الإيمان المسيحي" أو "الكنيسة المسيحيّة" .. أحتاط جدّاً من أن أجعل البشرية مسؤولة عن تلك الأمراض التي أنهكت روحها؛ لكنّ

إحساسـي يختـبر انقلاباً وينفجر ما أن يدخل العصر الحديث، عصرنا ـ عصرنا العارف .. الذي كان قبلُ مريضاً هوذا الآن قـد ارتـدّ بذيئاً. عدم اللياقة والبذاءة اليوم هو أن يكون المرء مسيحيّاً. وهنا يبتدئ قرفي.

أتلفّت حولي: لم تبق كلمة ممّا كان يدعى قبلاً حقيقة، ولسنا نحتمل حتّى، أنّ كاهناً ينطق بكلمة "حقيقة". اليوم ثمّة وجوب ـ مع كلّ التواضع المقتضى للنزاهة ـ لمعرفة أنّ لاهوتياً، كاهناً، بابـا، وفي كلّ عبارة يفوه بها ليس فقط أنّه يُخطئ، بل يكذب. وأنّه ليس يُبَرّأُ الكذب ويباح بسبب البراءة والجهالة.

كذلك يعرف اللاهوتي، كما يعرف الجميع، أنّه ليس ثمّة "إله" أو "خطيـئة" أو "مخلّص"، وأنّ "الإرادة الحرّة" و"النظام الخلقي للعالم" هي أكاذيب.

الجديـة والتسـامي العميق للنفس على ذاتها، لا يسمح لأحد بجهل هذا كلّه.

كـلّ مفاهيم الكنيسة معدودةٌ كما هي في الحقيقة: إنّها الأكثر تزييفاً مؤذياً الذي قد وجد أبداً، بنظرات محتقِرة للطبيعة وللقيم الطبيعيّة.

الكاهـن نفسـه بان مكشوفاً على حقيقته: إنّه النمط الأكثر خطراً بين الطفيليين، والعنكبوت المسمّم للحياة.

إنــنا لــنعرف، وضميرنا يدرك اليوم هذا ، كم تساوي على العمــوم، وإلــى مــا تصلح، تلك البدع المشؤومة التي ابتدعها الكهــنة، والكنيســة، والتي حصّلت ذلك الوضع المدمِّر المشرّد للبشرية، المثير للقرف لدى ظهوره.. مفاهيم "الآخرة" "الدينونة الأخيرة" "خلود الروح" "الروح" ذاتها، هي أدوات تعذيب وأنظمة وحشيّة من خلالها يتسلّط الكاهن ويظلّ محتفظاً بسلطانه.

الكلّ يعرفون هذا، والكلّ يتّبعون مع ذلك ما قد سلف!!

أين ستقف البقيّة الأخيرة للشعور بالحشمة، ولاحترام الذات، إمــا كــان حــتّى رجال دولتنا[1]، إضافة إلى نوعٍ لا أباليّ من الــرجال مضــادّ كفاية للمسيحيّة فعلاً، يُدعَون اليوم مسحيّين، ويمضون لتناول القربان؟!

أمــيرٌ شــاب[2] على رأس حكومته يتألق كتعبير عن الأنا والكبرياء التي لشعبه، إنّما لا يخجل من أن يعدّ ذاته مسيحيّا!!

من تنكر المسيحية وترفض؟ ما الذي تدعوه دنيوياً؟

الصــيرورة محارباً، قاضياً، الصيرورة مواطناً؛ الدفاع عن الــنفس، المحافظة على الشرف الخاصّ، إرادة المنفعة الذاتيّة، والكبرياء الفخورة...

---

[1] تعريض ببسمارك وموقفه الغامض من الدين [P]

[2] يعنــي به Guillermoll المميّز بدوافعه الكبيرة، وانفتاحه على الأفكار الجديدة، وتنوّع اهتماماته، وثقافته الكبيرة وشخصيّته اللامعة [P]

كلّ ممارسة في أيّ حين، كلّ غريزة، وكلّ تقييم يتحول إلى فعل، هو اليوم ضدٌّ للمسيحيّة:

أيّ سِقطِ زيفٍ يجب أن يكون الإنسان الحديث كيما لا يخجل حتّى الآن من أن يدعو نفسه مسيحيّاً!!

- 39 -

أمضي مرتدّاً، لأروي تاريخ المسيحيّة الحقيقي.

الكلمة ذاتها "المسيحيّة" هي سوء فهم وخطأ، وفي الأصل لست أجد أكثر من مسيحيّ واحد: وهذا قد مات مصلوباً. "الإنجيل" مات على الصليب. وما يُدعى بدءاً من تلك اللحظة "إنجيلاً" كان بالعكس لذاك الذي قد عاشه: بشارة سيئة، "لا ــ إنجيل"[1].

إنّه لأمر زائف وباطل حتّى التفاهة إمّا نُظِرَتْ خصيصة المسيحيّة في إيمان، ومثالاً، الإيمان بالفداء بواسطة المسيح: فقط الممارسة المسيحيّة، العيش كما عاش المائت على الصليب هو المسيحيّة.

---

[1] يستخدم نيتشه تعبير Dysangelium ليشير في لعب على اللفظ إلى ما هو ضدّ البشارة: البشارة الرديئة [p].

إنّ هكـــذا حـــياة هي إلى اليوم ممكنة لبعض الأناس، لا بل حتّى ضرورية لهم: المسيحيّة الحقيقيّة، الأصلية، تصير ممكنة في كلّ الأزمان، لا اعتقاداً، وإنّما عملاً، وفوق كلّ شيء لا ــ عمل أشياء كثيرة وصيرورة في كيان متمايز.

إنّ حالات الضمير، وأيّ اعتقاد، كمثال عدّ شيءٍ حقاً، الذي يعلمـــه كلّ نفساني، كلّها عدم اهتمام كلّي وطابوراً خامساً ضدّ قـــيمة الغرائـــز. ومتكلّماً بصرامة أكبر، فكلّ الفكرة العامّة عن السببيّة الروحية هي زائفة.

تخفـــيض الكينونة المسيحيّة، الجوهر المسيحيّ، إلى حدّ عدّ ظاهرية محضة للضمير كحقيقة، يعني إنكار المسيحيّة.

فـــي الواقـــع، لم أصادف مسيحيين. المسيحي ببساطة، وما يدعى عبر ألفيّ سنة مسيحياً، نفسيّةٌ غير مفهومة منه ذاته. وإمّا نظـــر إلـــيه بتدقيق، وجد رغم الإيمان كلّه، وقد تسلطت عليه إطلاقاً الغرائز. وأية غرائز!!

لقـــد كـــان الإيمان في كلّ زمان، وكمثال حالة *"لوثر"*، فقط غطـــاءً، وحجّة، وستارة، من خلفها تلعب الغرائز لعبتها، وكان دهاءً عَمِياً فوق سيطرة تلك الغرائز.

إنّ الإيمـــان ــ والذي قد دعوته قبلاً بالدهاء المسيحي الحقّ ــ يتكلّم دائماً عن الإيمان، ويتصرّف عاملاً فقط بالغريزة.. في

عـــالم الأفكـــار المســـيحيّة لا يظهـــر أبداً ما يلمس الواقع. بل بالعكس، ففي الكره الغريزي لكلّ واقع نتعرّف العنصر الدافع، "العنصر" الدافع الوحيد في جذور المسيحيّة.

ماذا يُستنتج من هذا؟ على ما هو كذلك في المسائل النفسيّة، الخطأ هنا هو جذري، وأنّه المقرِّر للجوهر، والماهيّة.

أستخلص من هنا فكرةً، وفي مكانها أضع حقيقةً وحيدة، وكلّ المسيحيّة تتردّى في العدم.

إنّنـــي أرى من فوق، من الأعلى، هذا الأكثر غرابة بين كلّ الأعمـــال: ديناً مبتدَعاً، وليس فقط مشروطاً ومحشوّاً بالأخطاء، بـــل خالقاً بمقدار ذلك، وبعبقريّة، الأخطاء المؤذية، التي تسمم الحياة والقلب؛ هو مشهد جدير بالألوهة، بتلك الآلهة التي تكون أحـــياناً فلاسفة، والتي وجدتُها ــ على سبيل المثال ــ في تلك المحاورات الشهيرة لناكسوس[1].

---

[1] محاورات ناكسوس من ابتداع نيتشه. وفي حوار يؤكد ديونيسيوس على قـــدرة "الحيوان الكيّس الجرئ الجسور" الذي هو الإنسان "والذي هو واسع الحيلة ولا مثيل له على الأرض" ويفكّر كيف يجعله "أكثر قوة وخبثاً وعمقاً ممّـــا هو عليه. "أكثر قوة وخبثاً وعمقاً؟ سألت بهلع. نعم ردّد مرّة ثانية؛... وأكـــثر جمـــالاً". من: ما وراء الخير والشرّ. ترجمة جيزيلا فالور حجّار. نـــبذة 295، وفـــي النبذة نفسها يقول: "أن يكون ديونيسيوس فيلسوفاً، وأن

في اللحظة التي ينسحب فيها التقزّز من تلك الآلهة (وكذلك يغادرنا) فإنهم يشكرون المنظر الذي يقدّمه المسيحي.

ذلك الكوكب البائس الصغير الذي يُدعى الأرض، يستأهل ربّما فقط بسببٍ من هذه الحالة الغرائية، نظرة إلهية، واهتماماً إلهياً.

لا نستخفنّ إذاً بالمسيحيّة: المسيحيّ زائف حتّى أقصى السذاجة، إنه أعلى بكثير من القرد؛ فيما يتعلق بالمسيحيّين، فإنّ نظرية معروفة جداً عن تولّد السلالات، تغدو لطفاً محضاً.

- 40 -

مصير المسيحيّة قُرّر بالموت ــ معلقاً على الصليب.

فقط الموت، هذا الموت المقنط والمُخجل، وفقط الصلب، الذي على العموم يُحتفظ به للسفلة[1]، وحده هذا التناقض

تكون الآلهة إذن هي الأخرى مهتمة بالفلسفة يبدو لي تجديداً لا يخلو من الحرج، أمّا بينكم يا أصدقائي فسيكون هذا التجديد أكثر قبولاً".

[1] كان الصَلْبُ مكرّساً للناس المنحطين، لذلك نجد يسوع يصلب وكذا اللصين وكذا بطرس يصلب، بينما شاول "الروماني" يُضرب عنقه بالسيف المخصّص للرومان والنبلاء.

الظاهــري المرعب وَضَع التلاميذ أمام السؤال الملغز: من كان هذا؟! ماذا كان هذا؟

الشــعور المهتز والمهان في العمق، والارتياب من أنّ هكذا ميــتة يمكن أن تكون دحضاً، والعلامة المرعبة للتساؤل: لماذا كان بكلّ تأكيد هكذا؟: هذه الحالة تُفهم جيّداً.

فهــنا الكــلّ يملك أو يوجب أن يكون ضرورة، حائزاً على معنى، وأحقيّة، أحقيّةً سامية.

حبّ المريد لا يعرف تقلّب الصدف.

فقط حينها تنفتح الهاوية: من أماته؟ من كان عدوّه الطبيعي؟ هــذا التســاؤل ينطرح مثل برق. والجواب: السلطة اليهودية، صنفها الأعلى.

والتلامــيذ انطلاقــاً من هذه اللحظة وفيما يأتي، استَشْعَروا الــتمرّد ضـــدّ النظام المجتمعي، إلى الحدّ الذي فُهم فيه يسوع بوصـــفه مــتمرداً ضـــدّ النظام. حتّى ذلك الحين كانت تنقص صـــورتَه هذه الهيئة الحربيّة، الرافضة بالقول والفعل. أكثر من ذلك، كان ذلك المناقضةَ ليسوع.

إنّه لواضح أن الجماعة الصغيرة لم تفهم أكيداً ذلك الأساس الذي أنشأ نموذجاً بطريقة الموت هذه: الحريّة، والرفعة فوق كل شعورٍ بالضغينة. وهذا علامة على كم أنهم قليلاً قد فهموه. في

ذاتـــه، لـــم يقدر أن يريد بموته شيئاً آخر غير أن يعطي بشكل عمومي البرهان الأقوى، المُظهر لعقيدته..

لكـــنّ تلامذته كانوا بعيدين عن أن يغفروا هذه الميتة، التي كانـــت إنجيلـــيّة في أرفع معنى، أو بالأقل أن يتقدّموا إلى ميتة مشابهة مضحّين بأنفسهم، بعذوبة ومحبّة هادئة في القلب.

لقد كان، بالتأكيد، الشعور الأقل إنجيليّة، أي الثأر، هو الذي فرض ذاته من جديد.

كان غير ممكن أنّ الدافع يبلغ غايته بهذه الميتة.

ثمّـــة ضرورة للأخذ بالثأر، وللعدالة. (ومع ذلك، أيّ شيء يمكـــنه أن يكـــون أقـــلّ إنجيلـــيّة مـــن الأخذ بالثأر، والعقاب، والإخضاع للمحاكمة).

مـــرّة أخرى يَعود إلى الواجهة التوقّع الشعبي عن المسيح؛ ولحظة تاريخيّة تكون قبلة للنظر: "مملكة الله" تجيء للحكم على أعدائه.

إنّما بهذا يكون كلّ شيء مفهوماً بطريقة رديئة: "مملكة الله" كفعـــل نهائـــي، كوعـــد! الإنجيل كان بوضوح الوجود، الملء، الواقـــع لمملكـــة الربّ هذه، وميتة كهذه كانت بالضبط مملكة الربّ تلك.

فقط الآن يُشكِّل في شخص المعلمّ كلّ الاحتقار وكلّ المرارة تجاه الفريسيين واللاهوتيين ـــ وبهذه الطريقة جعلوا منه فرّيسيّاً ولاهوتيّاً!!

من جهة أخرى، فإنّ التجلّة العائدة وحشيّة، في هذه النفوس المضــطربة الخارجــة عــن كلّ ضبطٍ بالكليّة، لم تحتمل تلك المساواة الإنجيليّة في الحقوق، ولا كذلك تحويل الكلّ إلى أبناءِ الله، كمــا بشّــر يسوع: انتقامهم قام على رفع يسوع إلى أعلى بطريقة مفرطة، على فصله عنهم، وهو ذات الأمر الذي حصل في وقت آخر حيث العبرانيين كيما يثأروا من أعدائهم انفصلوا عنهم إلى إلههم الخاص وقد رفعوه إلى أعلى.

الله الأحــد.. الابــن الوحــيد لله: كلاهمــا صنعتا الحقد [Resentinent].

- 41 -

مــن الآن وصــاعداً، تتدفق مشكلة منافية للعقل واستحاليّة: "كيف أمكن لله أن يسمح

بذلك!"

ولأجل هذا التساؤل وجد العقل المضطرب المشوش للجماعة الصــغيرة جواباً منافياً للعقل بشكل مرعب: لقد وهب الله ابنه لمغفرة الخطايا، كأضحيّة استغفار.

آهٍ كيف بضربةٍ واحدةٍ، وبأيّة طريقة، يُنتهَى من الإنجيل!

الذبــيحة التكفيرية في شكلها الأكثر إثارة للاشمئزاز، الأكثر بربــريّة، التضــحية بالبريء لغفران خطايا المذنبين. أيّة وثنيّة هائلة!!

يســوع أبطل المفهوم ذاته للــ (ذنْب)، ملغياً كلّ هوّة وبون بيــن الله والإنسان، عائشاً هذا الاتحاد بين الله والإنسان كــ : (بشارته)، وليس كامتياز.

بدءاً من الآن وآتياً، وشيئاً فشيئاً، يُتَوَصَّل إلى تخليق شخصية الفــادي: عقــيدة القضــاء والرجعة، عقيدة الموت موتاً قربانياً (تضــحوياً) كذبــيحة، عقيدة القيامة، التي بها أُخفي كلّ مفهوم (الطوباويــة)، وهــي الواقعة الوحيدة والكاملة للإنجيل، لصالح حالة ما بعد القبر!!

(بولــس) أعطى معنىً منطقيّاً لهذا الفهم، لهذا العتوّ المتهوّر فــي الــتقرير والفهم، عبر تلك العجرفة الوقحة الحاخاميّة التي ميّزته في كلّ الظروف "إن كان المسيح لم يقم من بين الأموات

فــباطلٌ يكــون إيماننا"[1] وسراعاً ما تحوّل الإنجيل إلى الأكثر حقَــارة بين كلّ الوعود غير ممكنة التحقّق، وإلى عقيدة ليست تخجل، عقيدة الخلود الشخصي!!

بولس نفسه بشر بذلك كمكافأة.

ـ 42 ـ

يُرى ما وَضَعَ نهايةً له الموتُ على الصليب:

ابتداءٌ جديد وتام وحقيقي لحركة بوذيّة للمسالمة[2]، ولسعادة فعليّة، لا موعودة، فوق الأرض. لأنّ هذا هو ــ كما أظهرتُ ــ الفرق العميق بين دينيّ الانحطاط هذين: البوذية لا تَعِد، بل تُتمّ، بينما المسيحيّة تعد بالكلّ ولا تُتمّ شيئاً.

البشارة الجيدّة يتبعها عن قرب ويحلّ محلّها البشارة الرديئة: بشارة بولس.

---

[1] نــصّ الآية 14 من الاصحاح 15 من الرسالة إلى كورنثوس: "فإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم".

[2] قارن مع الفصل 20

فـــي بولس يتجسّد النمطُ المعاكس ((لحامل البشارة الجيد)) والعـــبقريةُ في البغضاء، وفي رؤيا البغضاء، وفي منطق الكره الذي لا يلين ولا يرحم.

كم من أشياء ضحّى بها هذا اللا ــ إنجيلي[2] للبغضاء؟ قبل الجميع المخلّص ذاته: سمّره فوق صليبه. الحياة، المثَل، العقيدة، الموت، المعنى والحقّ في كلّ الإنجيل، لاشيء قد بقي من ذلك عندما عَلِم هذا المزيِّف بالبغضاء ما فقط يحتاجه لأجل غاياته. لا الحقيقـــي، لا الحقـــيقة التاريخـــيّة!... ومرّة أخرى ترتكب الغريزة الكهنوتية اليهودية الجريمة الخطيرة ذاتها ضدّ التاريخ.

إنّها ببساطة قد مَحَت الأمس، الماضي المسيحي، واخترعت للمسيحيّة البدئيّة تاريخاً.

علاوة على ذلك، زيّفت من جديد تاريخ إسرائيل مظهرةً إياه كتَســـبيقة تاريخيّة لفعلتها: كلّ الأنبياء قد تكلّموا عن "المخلّص" الذي أوجدته.

الكنيسة زيّفت لاحقاً حتّى تاريخ البشرية ذاته، قالبة إيّاه إلى ما قبل تاريخ المسيحيّة.

شخصـــيّة المخلّـــص، والعقـــيدة ــ عقيدته ــ والممارسة، والموت، ومعنى الموت، وحتّى ما يحدث ما بعد الموت نفسه،

---

(2) dysevangelist

لاشـــيء بقـــي دون أن يطـــرق ويُمس؛ لاشيء قد بقي به ولو مشابَهة للواقع.

الـــذي قـــام بـــه بولس ببساطة كان نقل مركز الثقل ونقطة الجاذبية لكامل ذلك الكيان إلى ما وراء ذلك الكيان ووضْعَه في كذبة يسوع المنبعث.

في الأساس لم يكن محتاجاً على الإطلاق إلى حياة المخلِّص، كـــان محـــتاجاً إلى الميتة على الصليب، وإلى شيء آخر. إنّ الاعـــتقاد بأمانة وإخلاص "بولس" (والذي كان بلده المتحدّر منه فـــي المركـــز الرئيس للفلسفة الرواقية اللامعة[1]، وحيث تحت تأثـــير الوهم، رتّب البرهان على أنّ المخلِّص لم يزل إلى الآن حيّاً، أو حتّى أرسخ تصديقاً لروايته بأنّه قد وقد له ذلك التوهم) سيكون ـــ عند السيكولوجين ـــ بلاهقةً حقّة.

بولـــس يتطلّع إلى الغاية، وبالتالي، ينظر في الوسائل. ما لم يؤمن به هو يؤمن به أولئك المغفلون الذين بذر بينهم عقيدته.

---

[1] فـــي مديـــنة طرســـوس عاش وعلمّ رواقيون من حقب شتّى: زينون، ارشـــديموس انتيباتر، هيراكليدس، اتينودورو، هيرودوت، ديوجين، الذين أعطـــاهم ديوجين اللايرثي الهوية الطرسوسية. في فترة دراسته في ليبزيغ وأستاذيته في بازل، اهتم نيتشه كثيراً بعمل ديوجين اللايرثي: حياة وأفكار كبار الفلاسفة. [P]

احتـــياجه كان إلى القوّة. عبر بولس أراد الكاهن مرّة أخرى أن يحصل على القذرة.

هـــو وحــده كــان يقدر على الانتفاع من المفاهيم والعقائد والرموز التي بها يتمّ التسلّط على الجماهير، وتنتظيم القطعان.

مــا كــان الشــيء الوحيد الذي استعاره "محمّد" لاحقاً، من المسيحيّة؟

إنّــه ابــتداعُ بولــس، ووسيلته للتسلّط الكهنوتي، ولتشكيل القطعان: الاعتقاد بالخلود ـــ وهذا يعني، عقيدة "الدينونة".

ـ 43 ـ

وضع مركز ثقل الحياة لا في الحياة، وإنّما في الأكثر بُعداً، في الآخرة، في اللاشيء، يسلب الحياة من أهميتها وثقلها.

الكذبـــة الكبيرة عن الخلود الشخصي تدمّر كلّ صوابيّة وكلّ طبــيعة في الغرائز. كلّ ما هو مفيد ومفضّل في الحياة، كلّ ما يضـــمن المســـتقبل من الغرائز يستثير من الآن وصاعداً عدم الثقة.

الحياة بهكذا طريقةٍ لا تملك بعدُ معنى الحياة، يُحوّل الآن إلى (معنى) الحياة.

لمــــاذا الشـــعور التضامني، لماذا الامتنان للسلالة، للأجداد، لمـــاذا التكافل، الوثوق، الحفز ومراعاة النظر في خيرٍ عموميّ ما؟...

كلّ هذه الأمور هي إغواءات، كلّ هذه الأمور انحراف عن (الطريق المستقيم).

"شيء واحدٌ فقط هو الذي ينقص وهو الضروري"... أنّ كلّ واحـــد، كونـــه "روحـــاً خالدة"، يملك المنزلة ذاتها التي يملكها الجمـــيع، وأن "الخــــلاص" ــ وبالإجماع مع كلّ كينونة ــ لكلّ شـــخص، يقـــدر أن يدعي أهميّة خالدة، وأنّ كلّ المنافقين التقاة الصغار وأنصاف المجانين يملكون الحقّ ليتصوّروا أنّه لأجلهم تخالَفُ قوانينُ الطبيعة باستمرار: في كلّ ذلك فإنّ هكذا رفع لكلّ صنف من أنانيّة والذي يصل إلى اللا تناهي وإلى الفحش الذي لا يخجل، لا يُقتدر أن ينظر إليه بالاحتقار الكافي.

ومـــع ذلـــك فإن المسيحيّة تدين بانتصارها إلى هذا التملق المؤســـي الزريّ، إلى هذه البهرجة الشخصيّة المزدهية. وبهذا فإنّها تجذب إليها بالتأكيد ما هو مشوّه، وذوي الحدّة في التمرّد، والفاشلين، المحطّمين، وكل حثالة البشرية.

(خلاص الروح) يعني بالألمانية[1]: (العالم يدور حولي).

---

[1] كما نقول بالعربي الفصيح، أو القول بوضوح.

وســـمُ عقــيدة (الحقـــوق ذاتها للجميع)[1] تُنشر عميقاً بواسطة المســـيحيّة.. إنّ المســـيحيّة، انطلاقاً من أخبأ الزوايا الغريزية الرديـئة، قامـــت بحربٍ حتّى الموت ضد كلّ مشاعر التوقير والحفاظِ على المسافة التي بين إنسان وإنسان، وهذا يعني، ضدّ الظروف المهيئة لكلّ سموّ، وكلّ نموّ في الحضارة... بالضغينة الشـــعبيّة طرّقت سلاحها الرئيس ضدّنا، ضدّ كلّ أرستقراطيّة، ضدّ كلّ مبتهج وكريم موجود على الأرض.

الخلـــود ممـــنوحاً لهذا وذاك كان حتّى الآن المحاولة الأكثر إيذاءاً وهولاً ضدّ النبالة.

إنـــنا لا نستخفّ بالشؤم الذي نفذ متغلغلاً من المسيحيّة إلى السياسية!

لا أحـــد يملك الشجاعة اليوم ليطالب بالحقوق الخصوصيّة، وبالسيادة، وشعور الاحترام المُجلّ لنفسه ولبني قومه، وللمناداة بـــتعاطفه مع الفوارق والمسافات الطبيعيّة... سياستنا مريضته بنقص الشجاعة هذا.

الأرستقراطيّة في الجبلّة قد قُوّضت داخلياً بكذبة أنّ النفوس سواسية.

---

[1] قارن مع أواخر الفقرة 40.

وإذا كـان الاعـتقاد بـــ "حقــوق الأكثرية" قد صنع ثورة وسيصــنع، حينها فإنّ المسيحيّة، ولاشك، وتلك الأحكام القِيَميّة المسيحيّة، هي مَن حوّل كلّ ثورة إلى الدمّ والجريمة.

المسيحيّة هي تمرّد كلّ أولئك المتجرجرين فوق التراب ضدّ كــلّ مــن يملكونــه رفعــةً: إنجيل السفلة يصنع سفالة (إنجيل المخزيّين يخزي).

- 44 -

الأناجيل شهادة لا تثمّن عن الفساد الذي لا يعالَج والذي وُجِد فــي صدر الجماعة الأولى. والذي قد حمله بولس فيما بعد إلى نهايــته وأنجــزه، بالمنطق الصفيق لحاخام، لم يكن إلاّ قضيّة الانحطاط الذي بدأ مع موت المخلّص.

كــلّ الاحــتراس الذي يتخذ عند قراءة الأناجيل يبقى قليلاً، حيث كلّ كلمة تخفي وراءها صعوبات كثيرة.

أنا واثق ــ وفي هذا يجب أن يوثق بي وأقدَّر جيّداً لما أقوله ــ أنّه لهذا السبب بالتأكيد فإنّ تلك الأناجيل تقوم، لدى نفسانيّ،

منـــبعَ تسـلية مـــن المرتبة الأولى: كمناقضة بكلّ فساد ساذج، وكحذلقة ومغالاة رفيعة، ومهارة في الفساد النفساني.

الأناجيل تقوم متوحّدة، وبجوهريّة تعتمد على ذاتها. الكتاب المقدّس من جهته ــ عموماً ــ لا يقبل أية مقارنة ولا يتحمّلها.

نحـــن بيـــن اليهود: نقطة النظر الأولى كيما لا يضيع تماماً الخيط المرشد.

الانتقال الذاتي، الذي هو مباشرة فعلّ عبقري، إلى (القداسة)، والـــذي أبداً لم يكن ــ ولا بالمقاربة ــ متوصّلاً إليه في مكان آخر، لا في الكتب ولا بين الناس، التزييف للكلمات والإيماءات كفــنّ، ليس خاضعاً لمصادفة نبوغٍ شخصيّ، ولا لأي شكل من وجود استثنائي: لأجل هذا يُحتاج إلى سلالة Raza.

جمـــاع اليهودية التي هي تَشَدّد في الممارسة وتكنيك يهودي دنـــيوي بـــالغ الجديّـــة، تحصّل براعتها النهائية في المسيحيّة بمفهومها فَنّ الكذب المقدّس.

المسيحي، العلة النهائية للكذب [Ultima ratio]، هو اليهودي مضعّفاً، بل اليهودي مثلّثاً.

إنّ إرادة الاســـتخدام الأساســـيّة، فقـــط لمفاهـــيم، ورموز، وإشـــارات وهيـــئات والاســـتفادة منها، مختبرةً ومُبيَّنة بتجربة الكاهـــن. الـــرفض الغريزي لكلّ خبرة أو ممارسة أخرى، لكلّ

مــنظور آخر للقيمة والمنفعة، هذا ليس أنه فقط تقليدٌ بل وِرثة: وفقط بكونها وراثة، تتصرّف كطبيعي.

كــلّ البشــريّة، وأفضل الرؤوس في كلّ العصور (باستثناءِ واحدٍ، الذي لعلّه ببساطة إنسان هائل سامٍ) تُركت مخدوعةً.

لقــد قرئ الإنجيل ككتابٍ للبراءة، وأحد لم يشر إلى البراعة التي أنجز بها ككوميديا.

وطــبعاً إمّــا اســتطعنا أن نــرى خارج السياق كلّ هؤلاء المنافقيــن العجائبيين، والقديسين الفنانين، فإنّ كلّ هذه الكوميديا ســتنتهي. وبالتأكــيد لكونــي لا أقــرأ كلمة واحدة دون رؤية ملامحهــا، فإنني أنتهي منها.. إنني لا أحتمل فيها تلك الطريقة في رفع العينين إلى السماء.

إنّ مــن التوفــيق أنّ تلــك الكتب، في أغلبيّتها، هي محض أدبيات.

فــلا نَســمحنّ بأن نُخدع: "لا تدين"، تقول تلك الكتب، بينما ترســل إلى الجحيم كلّ من يكون عائقاً في طريقها. وإمّا تجعل الحكمَ لله، فإنّها تحاكِم هي نفسُها، وفي صنيعها بتمجيد الله تمجّد ذاتها، وباقتضائها للفضائل التي بها تصبح قديرة ــ وهذا يعني الفضــائل الضرورية التي بها تبقى محتفظة بسلطانها ــ تُمنح الهيــئة العظــيمة للصراع من أجل الفضيلة، ولمعركة من أجل

سـلطة الفضيلة. "إننا نعيش، إننا نموت، مضحيّن بأنفسنا لأجل الخير" (لأجل "الحقّ"، "النور"، "مملكة الربّ").

لقـد عملـوا ـ في الواقع ـ ما لم يكن بوسعهم ألاّ يعملوه، بيـنما ـ وبطـريقة منافقة ـ أظهروا التواضع، والتجأوا إلى الـزوايا، عاشـوا فـي الظلّ، كظلال، جاعلين من هذا واجباً: حـياتهم كوضاعة تظهر كواجب. وكوضاعة هي برهان زائدٌ على التقوى تجاه الله.

آه أيّ بهتان منافق ذاك التواضع والعفة والرحمة!

((الفضيلة نفسها يجب أن تُثمّن في نفوسنا ومن قِبَلنا)).

يجـب أن تُقـرأ الأناجـيل ككتـب للإغواء عبر الأخلاق؛ والأخلاق تبقى محجوزة من قبل هؤلاء الناس الصغار!

إنهـم يعـرفون أيـة أهمية تمتلك الأخلاق.. الأخلاق أنجعُ طريقة لأجل التصرّف بالناس من أنوفهم.

الواقـع أنّ هـنا أكـبر خيلاء مدركَة ممن يعتقدون كونهم مختاريـن، مع تمثيل دور العفّة. ومن ثمّ يتشكل حزبان: حزب يمركـز فـي ذاتـه مرّة واحدة وإلى الأبد، كحزب للحقّ، أنّه "الجماعة"، "الأخيار والعادلون"، بينما يضع البقيّة أيّ (العالم) في الجهة الأخرى.

هذا كان الشكل الأكثر شؤماً لجنون العظمة المصادَف فوق وجـــه الأرض .. تلـــك الطـــروح والمسوخ الضئيلة من التُقاة والكذَبـــة، بـــدأوا يدّعـــون لأنفسهم مفاهيم "الله" "الحقّ" "النور" "الروح" "الحبّ" و"الحكمة" و"الحياة" كمرادفات لذواتهم في مقصدٍ منهم لوضع حدٍّ بينهم وبين العالم.

يهـــودٌ صـــغار متميزون، ناضجون لكلّ صنف من مشافي المجانيـــن قلبوا القيم لأجل ذواتهم، وأداروها لصالحهم. كما لو أنّ المســـيحي صـــار بالتأكيد المعنى، الملحْ، والمقياس والحكم النهائي لكلّ الناس الآخرين. كلّ هذه البغضاء النكدة ذات الشؤم، فقط أمكن لها أن تقوم عبر وجود هكذا نمط من جنون العظمة، متماثل سلالياً: عبر اليهوديّ.

ومـــنذ ذلـــك الحين انشقّت الهوّة بين اليهود والمسيحيين من أصـــل يهـــوديّ؛ ولـــم يـــبق للآخرين أيّ خيار غير استخدام التصـــرّفات ذاتها لحفظ الذات والتي تسترشدُ الغريزةَ اليهودية ذاتهـــا ضدّ اليهود أنفسهم؛ بينما اليهود حتّى الآن، يستخدمونها ضدّ كلّ منِ ليسوا يهوداً.

إنّ المسيحي هو فقط يهوديٌّ بمعتقد أكثر حريّة.

- 45 -

أمضي لتقديم بعض الدلائل عمّا أدخله هؤلاء الناس الصغار[1] في رأس المعلّم، وعمّا وضعوه في فمه. محض اعترافات إيمانٍ من "أرواح علوية".

((وكـلّ مــن لا يقـبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوا من هناك وانفضــوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم. الحقّ أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً ممّا لتلك المدينة)) مرقس 6: 11

أيّ انجيليّة!

((وإن أعـثرتك عينك فاقلعها. خيرٌ لك أن تدخل ملكوت الله أعــور مــن أن تكون لك عينان وتطرح في جهنّم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ))

مرقس9: 47 ــ 48.

بالتأكيد ليس العين ما تعنيه هذه الكلمات.

((ومــن أعــثر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوّق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر)) مرقس 9: 42

---

[1] من الصغارة المعنوية.

أيّ انجيليّة هي هذه!

((الحــقّ أقول لكم أنّ من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتّى يروا ملكوت الله قد أتى بقوّة)) مرقس 9: 1

تكذب جيّداً أيها الأسد[1].

((مــن أراد أن يأتــي ورائــي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني.. لأنّ))

(ملاحظة من نفساني: الأخلاق المسيحيّة مدحوضة بما فيها من "لأنّ": إثباتاتها تفنّد. هذا ما هو مسيحي). مرقس 34:8

((لا تديــنوا لكــيْ لا تُدانوا. لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون)) متّى 7: 1 ــ 2

أيّةُ فكرةِ عدالةِ، وأيّ قاضٍ عادل!!

((لأنّه إن أحببتم الذين يحبونكم فأيّ أجر لكم. أليس العشّارون أيضــاً يفعلــون ذلــك. وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأيّ فضل تصنعون أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك)) متّى 5: 46-47

مــبدأ "الحــبّ المســيحي": اسعَ لأن تكون في النهاية حسن المكافأة.

---

[1] رمز مرقس الأسد.

((وإن لــم تغفــروا للــناس زلاّتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاّتكم)) متّى 6: 15 هذا يلقي ضوءاً قويّاً يثير الريبة، حول ما قلناه أعلاه عن "الآب".

((ولكن اطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه، وهذه كلّها تزاد لكم)) متّى 6: 33

((كــلّ هــذه الأشــياء)) تعني: الغذاء، اللباس، وكلّ ما هو ضروريّ للحياة، وإنّه لخطأ

التحدّث عنها بتهوين وجعلها قليلاً.

قليلٌ بعد ويظهر الله كخيّاط، أقلّه في بعض الأحوال!

((افــرحوا فــي ذلك اليوم وتهلّلوا، فهوذا أجركم عظيم في السماء. لأنّ آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء)) لوقا 6: 23

أيّة حثالة ليست تخجل، حتّى يقارنوا أنفسهم بالأنبياء.

((أمــا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأنّ هيكل الله مقدّس، الذي أنتم هو)) كورنثس1 3: 16-17

أفكار كهذه تستحق الاحتقار الأعمق.

((ألستم تعلمون أنّ القديسين سيدينون العالم. فإن كان العالم يدان بكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى)) كونثس1 6: 2

أسفاً أنّ خطاباً كهذا غير منميّ إلى مأوى مجانين فقط؛ وهذا الكـذّاب المـريع يتابع حرفيّاً هكذا: ((ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة)).. ((ألم يجهّل الله حكمة هذا العـالم؟ لأنّه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحســن الله أن يخلّــص المؤمنين بجهالة الكرازة ـ فانظروا دعوتكم أيها الأخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد؛ ليس كثـيرون أقويـاء، ليس كثيرون شرفاء ـ بل اختار الله جهّال العـالم ليخزي الحكماء،واختار ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واخـتار الله أدنـياء العالم والمزدرى والذي هو لاشيء ليبطل الموجـود، لكي لا يفتخر كلّ ذي جسد أمامه)) 1كورنثوس 1: 20 وما يتلو.

لفهـم هـذا المقطع، الذي هو إثبات من الدرجة الأولى على نفسيّة كلّ أخلاق المنبوذين Chandala، فليُقرأ الجزء الأول من كتابـي ((أصـل الأخـلاق)) ففيه تُظهر إلى النور لأول مرّة المناقضة بين أخلاق نبيلة أرستقراطيّة وأخلاق المنبوذين، هذه الأخلاق التي هي وليدة الضغينة الحقود والانتقام العاجز.

بولس كان الأكبر بين رسل الانتقام.

- 46 -

ماذا يُستنتج من هذا ؟

أنّ المــرء يحسن صنعاً إمّا وضع القفازات عند قراءة العهد الجديد؛ إذ أنّ الدنوّ من هكذا وساخة يكاد يضطرّنا إلى هذا.

لن نرتضي رفقة ((المسيحيين الأوائل))، مثلما لسنا نختار أن نرافق اليهود البولنديين.

لــيس حتّى ضرورياً إشهار الحجّة لمعارضتهم؛ فكلٌّ منهما يزفرُ رائحة كريهة.

عبــثاً فتّشــت فــي العهد الجديد، علّيْ أجد ولو فقط قَسَمةً ظريفة: فما به من شيء حرّ، أريَحيّ، كريم، شريف.

هــنا لم تبدأ حتى الآن الصيرورة البشريّة ــ تنقُص غريزة النظافة.. ليس في العهد الجديد أكثر من غرائز سيئة.. ليس فيه ولا حتّى الاندفاع لتأكيد هذه الغرائز السيئة.

كلّه جبانة.. كلّه: إغلاق أعين وخداعٌ للذات.

كــلّ كتاب يبدو نظيفاً غبّ أن يفرغ المرء من قراءة العهد الجديــد: لإعطاء مثال، فإنني مباشرة بعد قراءة بولس قرأت

وبانخطاف وافتتان حقيقي *"بيترونيوس"* [1] ذلك الساخر الظريف الهجّاء والجريء، والذي يمكن أن يقال عنه ما كتبه *"دومينيكو بوكاشيو"* عن *"سيزار بورجيا"* إلى *"الدوق دي بورما"* :

((إنّــه تام الرسوخ [e Tuttofesto] .. نظيف بدوام، وسعيد بدوام، وناجحٌ تماماً)).

هــؤلاء الــنقاة المــنافقون أخطاوا حساباتهم، وبالتأكيد من الأساس. إنهم هاجَموا، لكن بهذا كلّ ما كان مهاجماً منهم جُعِل مميّزاً.

عــندما ميحيّ من المسيحيين الأوائل يهاجِم، فإن المهاجمَ لا يكون ملطَّخاً... بل بالعكس: إنّه لشرف أن يكون ضدّه مسيحيٌّ بدئي.

إنّ العهــد الجديد لا يمكن قراءته دون الشعور بتفضيل ذلك الــذي يُعَامل فيه بسوء؛ ولا نتكلّم عن ((حكمة هذا العالم)) التي يحــاول بجّــاح متعجرف عبثاً أن يحطّ من شأنها عبر عظاته الحمقــاء.. حــتّى أولئك الكتبة والفريسيون استفادوا من هكذا

---

[1] الأرجح أنّه جايوس بترونيوس الذي قُتل بأمر نيرون. بقي بعض كتابه الساتريكون الذي يعني الخليط من نثر وشعر وفلسفة ومغامرات. يقول ول ديورانــت عــن الكتاب: الكتاب كلّه خلوٌ من الرحمة وليس فيه شيءٌ من العطــف علــى الــناس، ولا يهدف إلى مثل أعلى، ويرى كاتبه أنّ الفساد وسوء الخلق أمر طبيعي ولا غبار عليهما.

عداوة: يجب أن يكونوا قد حازوا قيمة ما كيما يكونوا مبغوضين بطريقة مشينة غير ذات لياقة كهذه.

المــراءاة (أو الفرّيســيّة) ستكون اللوم الذي يَقدر أن يفعله المسيحيون الأوائل.

وفـــي التحلـيل الأخير كان الكتبة والفريسيون هم أصحاب المـيزة إذ أنّه كافٍ بغضاء الطبقة الحقيرة وليس ثمّة حاجة إلى علّة أخرى.

المســيحي الأوّل ، وأخشى أن يكون كذلك المسيحي الأخير الذي ربّما أعيش ما يكفي حتّى أراه، هو ــ انطلاقاً من غرائز عميقة ــ تمرّد ضدّ كلّ متميّز.

إنّـــه يعـيش دائمـاً ويحــارب دائماً لأجل ((المساواة في الحقوق))!

وإمّـــا لوحظ جيّداً، فإنّه لا يملك خياراً آخر. فإذا أراد واحدٌ أن يكون في شخصه الذاتي ((مختاراً من الله)) أو ((هيكلاً لله)) أو ((ديّاناً للملائكة))، إذّاك فإنّ كلّ مبدأ اختيار آخر مؤسساً مثلاً على الشرف، على الهمّة، على الرجولية والفخر، على الجمال، وحريّة القلب، هو ببساطة ((العالم))، الشرّ في ذاته!

مغزى: كلّ كلمة في شفتيّ مسيحي من الأوائل هي كذبة، كلّ فعل من أفعاله هو زيف فطريّ.. كلّ قِيَمه، كلّ غاياته هي وبيلة مؤذية، إنّما ما يبغضُ فذاك يمتلك قيمة.

المسيحي، وخصوصاً المسيحي الكاهن، هو معيار للقيم.

أواجـــبٌ عليّ أن أضيف مع ذلك أنّه في كامل العهد الجديد تُصـــادَف هيئة واحدة جديرة بأن تُشرّف؟ إنّه بيلاطوس الوالي الروماني. فأن يأخذ بجديّة قضيّة بين اليهود، فهذا شيء ممّا لا يقوم في نفسه. فأي أهمية ليهوديّ واحد أكثر أو أقلّ؟

الهـــزء الأرســـتقراطي لروماني تجاه القيام بتحريف وسوء اســـتعمال لئـــيم مشين للكلمة: "حقيقة" أغنى العهد الجديد بكلمة وحـــيدة قـــيّمة، والتي هي بذاتها الحكم عليه والنقض الهدّام له: ((ما هو الحقّ))[1].

- 47 -

لـــيس ما يميّزنا كوننا لم نعد نصادف إلهاً لا في التاريخ ولا فـــي الطبـــيعة، كما ولا فيما خلف الطبيعة، وإنّما كوننا نعدّ ما ينضـــوي تحت اسم "الله" لا كألوهة وإنّما كبؤس مؤسف ومحال وضرر.. لا فقط كخطأ، وإنّما كجريمة ضدّ الحياة..

---

[1] يوحنا 18: 37-38 "فقال له بيلاطس أفأنت إذاً ملك؟ أجاب يسوع أنت تقـــول إني ملك. لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحقّ كلّ من هو من الحقّ يسمع صوتي* فقال له بيلاطس ما هو الحقّ؟!"

إنــنا نــرفض الله كونــه إلهــاً. وإمّا نحن امتحنّا هذا الإله المســيحي، فإنّــا ندرك أنّ إيماننا به سيمسي أقلّ.. وحتّى نعبّر بصيغة:[1]

((deus, qualem paulus creavit, dei negatio))

((الله كما آمن به بولس، هو الإنكار لله))

إنّ ديناً كالمسيحيّة لا يلامس الواقع ولا من أيّة نقطة، والذي حالاً يسقط في اللحظة التي يمتلك فيها الواقع حقّه ولو في نقطة واحدة، يجب أن يكون بطبيعته عدوّاً حتّى الموت ((لحكمة هذا العالم)) أعني "للعلم". إنّها (أي المسيحيّة) تستحسن وتستسيغ كلّ الوسائط التي بها يكون ممكناً تسميم وتشويه سمعة، والحطّ من قذر، تعاليم الروح الشهمة، والصفاء والقسوة في أمور الضمير الوجداني، والتحفظ النبيل وحرية الروح.

((الإيمان)) كأمر، هو ((فيتو)) ضدّ العلم.. وعملياً هو الكذب بأيّ ثمن.

ولقــد علِــم "بولــس" أنّ الكــذب، وأن ((الإيمــان)) أمورٌ ضرورية. ومن جهتها، وفي فترة لاحقة، فإن الكنيسة قد فهمت "بولس".

---

[1] باللاتينية في الأصل.

ذاك الإلــه الذي اختَرعه "بولس" وهو إله "يحطّم حكمة هذا العــالم" (بمعنى دقيق، فإنّ العدوّين الكبيرين لكلّ طيرة وخرافة همــا فقــه اللغة والطبّ) في الحقّ أنّ ذلك الإله ليس إلاّ القرار الوطــيد لبولس نفسه كي يعمل هذا: أن يدعو الله ما هو إرادته الخاصّة، وهذا ليس غير نمطيّة يهوديّة.

بولس يريد تدمير "حكمة العالم"، وأعداؤه كانوا علماء اللغة الجيديــن وأطباء المدرسة الإسكندرانية ــ وضدهم شنّ حرباً. فعلــيّاً لا يكون عالم لغة (فيلولوجي) أو طبيب كذلك عن حقّ، دون أن يكون بذلك، ومباشرة، مضاداً للمسيحيّة.

إن المــرء، كعالِمِ لغةٍ، ينظر فعليّاً ما وراء الكتب المقدّسة، وكطبيــب مــا وراء الانحطــاط الجسدي الفيزيولوجي للنمط المسيحي.

الطبيــب يقــول: "لــيس يُشفى".. الفيلولوجي يقول: "كذبة وشعوذة خدّاعة".

- 48 -

أتــراه قدْ فُهم جيّداً في الحقيقة التّأريخُ الشهير الموجود في مطلع التوراة والخوف الجهنّمي لله من المعرفة؟

كلاّ لم يُفهم.

هــذا الكــتاب الكهنوتي بتميّز يبدأ، كما لو أنّه الحقّ والأمر الطبيعي، بالضيق الداخلي الكبير للكاهن: إنّه لا يعرف فقط إلاّ خطراً جديّاً واحداً، ومن ثمّ فالله ليس يعرف إلاّ هذا الخطر.

الله الهَرِم، كلّ "روح"، كلّ كاهن رفيع المرتبة، وكلّ كمال، يتنزّه بسرور في حديقته، وإنّما يَعروه الملل.

وضدّ الملالة يصارع عبثاً حتى الآلهةُ. ما العمل؟ إنّه يخترع الإنســان بالــنظر إلــى الإنسان كأُلهِية. لكن قد وجب هنا أنّ الإنسان يملّ أيضاً. والله بردّ فعل وبرحمته غير المحدودة تجاه البلــيّة الوحــيدة الخاصّــة بكلّ الجنّات: يخلق سريعاً حيوانات أخرى. زلّةَ الله الأولى: أنّ الإنسان لم يجد سلوةً في الحيوانات؛ تسلّط عليها ولم يُرِدْ حتّى أن يصير "حيواناً".

بالنتــيجة، يخلــق الله المرأة. وبالفعل فإنّ السأمة لاقت هنا نهايتها، ولكن كذلك انتهت أشياء أخرى! لقد كانت المرأة الزلّة الثانية لله. ((المرأة بجوهرها أفعى، حوّاء))[1] ـــ هذا ما يعرفه كــل كاهــن ((من المرأة يأتي كل شر في العالم)) ـــ وهذا ما يعــرفه بذات المنحى أيضاً كلّ كاهن ((لكن بالنتيجة، منها أتى

---

[1] اقتباس من يوليوس ولهاوزن "تمهيد في تاريخ إسرائيل" برلين 1883 [P]

كذلـــك العلم)). فقط بوساطة المرأة تعلم الإنسان أن يتذوق من شجرة المعرفة.

مـــاذا حدث؟ ضيقٌ ملتاعٌ مريع تحكّم بالله العجوز. الإنسان نفسه تحوّل إلى غلطته الكبرى؛ لقد خلق خصماً منافساً، والعلم أقام [من الإنسان] مساوياً لله.

إنّها نهاية الكهنة ونهاية الله إذا ما انقلب الإنسان علمانيّاً!

عــبرة: العلم هو الممنوع بذاته؛ فقط هو الممنوع. العلم هو الخطيئة الأولى وأصل كلّ خطيئة؛ الخطيئة الأصليّة ــ هذا هو فقط الأخلاق.

((لا تكن ذا معرفة)): والبقيّة تتأتّى من هذه الوصيّة.

خــوفٌ وضيق الله المريع لم يمنعه من أن يكون ذكيّاً. كيف يمكــن مقاومـــة العلـــم؟؟ هذا ما كان عبر زمن طويل مشكلته الرئيسة. والجواب: فليُطرد الإنسان من الجنّة!

الســعادة والفراغ سبيل إلى التفكير، وكلّ الأفكار هي أفكار رديــئة.. الإنســان لا يجب أن يفكّر ــ و((الكاهن في ذاته))[1] يبــتدع الإرغام، الموت، الخطر القاتل للتفكير، وكلّ شكل من

---

[1] صــياغة تشبيهيّة "للشيء في ذاته" عند كانط، وقد دأب نيتشه على نقده. معنىً تحقيري.

بـــؤس، الشيخوخة، العناء، وفوق الكلّ المرض. وسائط محضة خالصة في الصراع ضدّ العلم!

البؤس المرغِم لن يسمح للإنسان بالتفكير.

مـــع ذلك ثمّةَ ما هو أكثر رعباً!! عمل المعرفة يرتفع مثل برج، متجاسراً على السماء، ومُحِلاً شفق الأرباب، فما العمل!!

الله اخـــترع الحـــرب، وقسّم الناس، وعمل ما يجعل الناس يـــتفانون فـــيما بيـــنهم. (إنَّ الكهـــنة كانوا دائماً في عوز إلى الحرب..) والحرب، بين أشياء أخرى، معكّرة عظيمة للعلم.

شـــيءٌ لا يُصدّق!! المعرفة، والتحرّر تجاه الكهنة، يتناميان رغم الحروب.

قـــرار أخير يتخذه الله الهرم: ((لقد صار الإنسان علمانياً ـــ ليس ثمّة ما يمكن فعله بعد. يجب أن يُغرَق!))..

ـ 49 ـ

هـــل كنتُ مفهوماً؟ بداية التوراة تضمّ كلّ نفسيّة الكاهن ـــ والكاهن يعرف خطراً واحداً فقط: العلم، والمفهوم السليم للسبب والنتيجة. لكن العلم على العموم يزدهر فقط تحت أجواء سعيدة

مواتية ــ لأجل "المعرفة" يجب احتياز الوقت و "الهمّة النفسيّة" الوافرين للبحث. ((بالتالي: يجب جعل الإنسان غير سعيد)). هذا في كلّ زمان منطق الكهنة، ويمكن أن يحزر ــ تبعاً لهذا المنطق ــ ما وفد أوّلاً إلى العالم: الخطيئة.

مفهوم الخطيئة والعقاب، وكلّ ((النظام الأخلاقي للعالم)) قد تمّ اختراعهم ضدّ العلم ، ضدّ الانعتاق الإنساني تجاه الكاهن... الإنسان لا يجب أن ينظر أبعد من ذاته؛ يجب أن ينظر إلى داخله؛ لا يجب أن ينظر باطن الأشياء بذكائه وفطنة كيما يتعلّم، وبالحريّ ألاّ ينظر البتّة: يجب أن يعاني... ويجب أن يعاني بطريقة تقتضي دوام الحاجة إلى الكاهن.

بُعداً للأطبّاء! إذ الحاجة إلى مخلّص.

مفهوم الخطيئة والعقاب، متضمناً عقيدة "النعمة" و"الفداء" و"الغفران"، أكاذيب تامّة، خالية من كلّ واقعية نفسيّة، ومبتدَعَة لتدمير الشعور بالعلِّيّة عند الإنسان: إنّها التهجّم على مفهوم السبب والنتيجة! ــ وما هو بهجوم بالقبضات وبالسكين، وبالإخلاص في البغضاء والمحبّة! بل انطلاقاً من الغريزة الأكثر جبناً، الأكثر مكراً واحتيالاً، الأكثر دناءة خسيسة! إنّه هجوم كهنوتي! هجوم متطفّلين! إنّه امتصاص الدماء الخاصّ بعلقة شاحبة ديماسية سردابيّة.[1]

---

[1] هذا تعريضٌ بأماكن اجتماعات المسيحيين الأوائل.

عـــندما لا تعــود النـــتائج الطبيعة لفعلٍ ما ((طبيعيّة)) وإنّما تصـــوّر بطــريقة غرائبـــيّة [فانـــتازيا] كأنّها منتجات للخرافة المتطـــيّرة، و"لإلـــه" و"لأرواح" و"نفـــوس"، وكنـــتائج صرف "أخلاقية"، وكمكافأة أو عقاب، وعلامة، وكمقياس لأجل التربية والتأديـــب، حيـــنها: فإن ظروف المعرفة الملائمة تكون متأذية ومخرَّبة، وحينها تُرتكب الجريمة الكبرى تجاه البشرية.

الخطيـــئة، أقـــول مـــن جديد، هذا الشكل الامتيازي للتحقير الذاتـــي للإنســـان، قـــد ابـــتُدع كـــيما يُجعل العلم غير ممكن، والحضارة مستحيلة، والنبل البشري.

الكاهن يبسط سلطته عبر بدعة الخطيئة.

- 50 -

لـــدى الوصـــول إلى هذه النقطة لن أدع إبداء تحليل نفسي "للإيمان" وللمؤمنين، فيه منفعة واضحة، بالتأكيد، للمؤمنين.

إمّـــا لم يكن اليوم قلّةً أولئك الذين لا يعرفون إلى أيّ حدّ من شـــين تـــبلغ الكينونة "مؤمن"، أو كيف أنّ ذلك علامةُ انحطاط ونقصٍ في إرادة الحياة، فلسوف يُعرف غداً.

إنّ صوتي ليصل كذلك إلى تلك الأسماع الثقيلة: يظهر ــ إمّا لم أكن قد سمعت بشكل رديء ــ أنّه يوجد بين المسيحيين نوعٌ مــن معيار للحقّ، يُدعى "اختبار القوّة": ((الإيمان يجعلنا سعداء ومن ثمّ فهو حقيقي)).

قــبل كــل شيء يمكن هنا الاعتراض بأنّ هذه السعادة غير مثبــتة مؤكّداً، وإنّما هي لا تعدو كونها وعداً: الغبطة السرمدية ترتــبط بظــروف الإيمان ــ يجب أن تُدرَك السعادة إمّا وجد الإيمان.. لكن!

أي شــيء يبرهــن أنّــه ســيحدث بالفعل ما يَعِد به الكاهنُ المؤمــنَ، في الآخرة العصيّة على كلّ تثبّت؟! والزعم "اختبار القــوّة وإثباتها "ليس إذاً بدوره غير اعتقاد بأنّ ما ينتظره المرء من الإيمان لن يلبث أن يقدّم نفسه.

فــي صــيغة مناسبة: "في عقيدتي أنّ الإيمان يهب الغبطة المطوّبة للإنسان، وبالتالي هو حقيقي".

إنّمــا بهــذا نكون قد وصلنا إلى النهاية.. هذه الــ "بالتالي" تَجْعَلُ الباطلَ المحالَ نفسه مأخوذاً كمعيار للحق.

فلنفــترض ــ مع ذلك، ومع شيء من التساهل ــ ثبوتيّة أنّ الإيمان يضمن السعادة ــ لا فقط تطلّعاً، لا فقط وعداً من الشفاه المريــبة للكاهن ــ: أفتكون الغبطة مَرّةً ــ ولأتكلّم بشكل أكثر تقنيّة ــ أيكون السرور برهاناً على الحقّانيّة؟

لـــيس هو كذلك بل لعلّه إثباتٌ للعكس، وفي كلّ حالة يُعطى الانطـــباع بالشـــكّ الأكـــثر توجساً تجاه الحقيقة، عندما مشاعر السرور تبَادر إلى الكلام متسائلة: "ما هي الحقيقة"؟

إن ما يثبته السرور هو إثبات للسرور، فقط لا أكثر.

علـــى أيّ أســـاس يمكن أن يُستنتج التأكيد بأنّ تلك الأحكام الحقّـــة تســـبب سروراً أكبر ممّا تسببه تلك الزائفة وأنّها، تبعاً لتوافق متناغم مقدّر مسبقاً[1]، تحمل معها حتماً مشاعر مسرّة؟

إنّ تجربة كلّ النفوس الصارمة والعميقة تشير إلى العكس.

فـــي الصـــراع لأجل الحقّ، يجب أن يُنتزع بعزم وافر كلُّ شبر، ويجب أن نكرّس من أجله تقريباً كلّ ما هو ممتع لقلوبنا، لحبنا، وداعمٌ لثقتنا في الحياة. لأجل هذا تُقتضى عظمة النفس، إذ خدمة الحقيقة هي الخدمة الأكثر مشقة.

مـــاذا يعنـــي الصَيْر إلى النزاهة في أمور الروح؟ يعني أن نكون صارمين مع قلوبنا محتقرين "للمشاعر الجميلة"، وأنّه في كلّ إثبات ونفي (نعم، لا) تقوم حالة من حالات الضمير[2].

---

[1] مفهوم لدى ليبنتز لشرح العلاقة بين الجسد والروح [P]

[2] يجـــدرُ الالتفات إلى المعنى الأوسع في الإنكليزية لكلمةConscience والإسبانية consciencia إذ تعني الإدراك الواعي لا محض "الضمير" بما يحمـــل فـــي تعبـــيره العربـــي من طبيعة مضمرة وبما هو جبلة أصلية! وكأنّه"صوت الله فينا"!! نيتشه يصحّح هذا الفهم اللاحق.

الإيمان يجعلنا سعداء،وعليه، فإنّه يكذب.

ـ 51 ـ

كون أنّ الإيمان في ظروف معيّنة يَهَبُ الإنسان غبطة، وأنّ الغـبطة حتّى الآن مع ذلك لم تجعل من فكرةٍ ثابتة فكرةً حقّة، وأنّ الإيمـان لا يحـرّك الجبال وإنّما يقيم جبالاً حيث لا يوجد جـبال: مـا هـو كفايـة حول هذا تكشفه لنا جولة في مأوى المجانين.

وهـذا بالتأكـيد لا يُقْـنِع الكاهن: لأنه يرفض بالغريزة أنّ المرضَ مرضٌ ومأوى المجانين مأوى مجانين.

المسـيحيّة تحـتاج إلـى المـرض بمقدار ما يحتاج أولئك الأغارقـة إلـى وافر الصحّة.. والإمراض هو المقصد الخفيّ الحقيقي لكلّ نظام المعالجة الخاصّ بالكنيسة.

والكنيسـة نفسـها؟! أليست أنها مأوى المجانين الكاثوليكي، الغايـة فـي المـثال؟ وكذلك العالم في اعتبارات عامّة كمأوى للمجانيـن؟ إنّ الإنسان المتديّن ــ كما تريده الكنيسة ــ منحطّ نموذجـي؛ وفـي كلّ زمن، تتحكم فيه بشعب أزمة دينيّة، فإنّه

يتمـــيّز بجائحـــة عصبيّة؛ و((العالم الداخلي)) للإنسان المتديّن يظهر مشابهاً للعالم الداخلي للمتهيجين بزيادة والمنهكين، وحتّى لا يتمايز عنه.

تلـــك الحالات السامية للروح التي تموضعها المسيحيّة فوق البشريّة كقيمة القيم هي حالات صَرَعيّة.. وإنّها لتكرِّس في كليّة شرف الله حصراً المجانين أو كبار المحتالين.

لقد سمحتُ لنفسي في إحدى المناسبات أن ألقِّب كلَّ التدريب المسيحي للتوبة والخلاص (والذي هو مدروس اليوم خصوصاً فـــي انجلـــترا) كجنون دوري [Foliecirculaire][1] متحصّل منهجيّاً ــ كما هو مفترضٌ وواضح ــ فوق أرضيّةٍ معدّة لأجله، وهذا يعني: ممراضة بالكليّة.

لـــيس من أحد حرّاً في صيرورة مسيحيّاً.. والمرء لا يُهدى إلى المسيحيّة: يجب أن يكون مريضاً بما فيه الكفاية لأجلها.

نحن الآخرين الذين يمتلكون الشجاعة الكافية ليَكونوا أصحاء ومحتقِريـــن: بـــأيِّ عمق علينا أن نحقر ديناً علّم أن ينظر إلى الجســـد بســـوء!.. ولـــم يـــرد أن يتخلّص من خرافات النفس المتطـــيّرة!.. والذي يعدّ نقص التغذية جدارة وفضلاً!.. والذي

---

[1] فـــي شـــذرة من عام 1888 كتب نيتشه: "الهوس الديني يظهر عادة في شكل جنون دوري بحالتين متناقضتين: الانكماش المنحطّ، والاندفاع." [P]

يحـــارب في الصحّة شكلاً من عدوّ، من شيطان، من غواية!.. والذي يتصوّر باقتناع أنّه من الممكن حمل روح كاملة في جسد هو جثّة، والذي لأجل هذه الغاية قد وجب عليه أن يشكّل مفهوماً جديــداً للكمال: مخلوقاً شاحباً، مرضيّاً، متعصّباً بجهالة، مدعوّاً "القداســـة".. القداســـة التـــي هي نفسها ليست أكثر من سلسلة علامـــات عـــن الجسد المُضنى، المُفقَر، المتعفّن إلى درجة لا يمكن معها الشفاء!

الحركة المسيحيّة كحركة أوروبيّة، هي مقدَّماً ومن أساسها، حـــركة لعناصـــر الحثالة والحقارة من كلّ صنف، والتي تريد امتلاك القدرة من خلال المسيحيّة.

إنّها لا تعبّر عن انحطاط جنس، وإنّما هي كتلة مختلطة من أشكال شتّى للانحطاط، ومن كلّ مكان تُتقرّى وتُراكم.

مـــا جعـــل المسيحيّة شيئاً ممكناً ليس انحلال وفساد القديم، القديـــم الأرستقراطي؛ فأبداً ليست تُناقض وتُنتقد بصلابة كافية الجهالةُ المتفقّهة التي تدعم حتّى اليوم وجهة نظر كهذه.

– ففـــي الفترة التي فيها نُصّرت الطبقات السقيمة والمتعفنة من الحثالة [Chandala] في كلّ الإمبراطورية[1]، صودف بكلّ

[1] imperium باللاتينية في الأصل

جــلاء النمط المعاكس، الأرستقراطيّة، في شكلها الأكثر جمالاً ونضجاً.

العــدد الأكــبر توصـــل ليصير سيّداً، وديمقراطية الغرائز المسيحيّة تغلّبت .. المسيحيّة لم تكن "قوميّة"، ولم تكن مشروطة ومرتهــنة بالجنس، فقد توجّهت إلى كلّ صنف من المحرومين من الحياة، ولاقت في كل صقع أحلافاً.

المســيحيّة تقوم على قاعدة من ضغينة[1] المرضى الحاقدة، الغريزة الموجّهة ضدّ الأصحّاء، وضدّ الصحّة. [إنّ كلّ ما هو موفَّــق، مــتفاخر، ســام]، وفوق الكلّ الجمال، يجرّح الأسماع والعيون.

سألفت الانتباه مرّة أخرى إلى كلمات بولس التي لا تثمّن:

((الذي هو تجاه العالم ضعيف.. الذي هو تجاه العالم جاهل، الذي هو غير نبيل، ومحتقَرٌ، ذاك الذي اختاره الله))

هذه كانت الصيغة، "وتحت هذه العلامة" [in hoc signo][2] تغلّبت الحطّة.

---

[1] rancunc باللاتينية في الأصل

[2] صيغة مأخوذة من الرواية الزاعمة أنّ الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبــير 337- 306 في حربه مع مكسنتيوس ظهرت له علامة صليب من نــور ذا تغلُــب. أمّا يوسابيوس القيصري في الكتاب التاسع الفصل التاسع فقــرة 10 و11 فيقول إنّه بعد انتصاره "وقد رأى أنّ معونته كانت من قبل

الله معلقــاً على الصليب! أحتّى الآن لم تفهم الفكرة المريعة المختبئة وراء هذا الرمز؟!

كلّ ما هو معاناة، كلّ ما هو معلّق على الصليب، هو إلهيّ. نحن جميعاً معلقون على الصليب، وبالتالي كلّنا إلهيون. ونحن فقط المؤلّهون والمقدّسون..

المســيحيّة كانــت نصراً، وبها حُطّمت ذهنيّة أكثر نبلاً. لقد كانت المسيحيّة حتّى اليوم البليّة المشؤومة الأكبر ضدّ البشرية.

- 52 -

تقــوم المسيحيّة كذلك في مناقضة لكلّ عقليّة حسنة التكوين؛ إنّها فقط تستفيد من العقل المريض بوصفه عقلاً مسيحيّاً.

تــتحزّب لكلّ ما هو أبله، وترمي بلعنتها ضدّ كلّ ذي همّة ونخوة، وضدّ رفعة العزم السليم..

الله، أمــر فـــي الحال بأن يوضع في يد تمثال تذكار آلام المخلص علامة الصــليب المخلــص ويــنقش عليه: بهذه العلامة المقتدرة أنقذت مدينتكم، روما".

وبمـــا أنّ المرض ينتمي إلى طبيعة المسيحيّة، فكذلك الحالة النمطـــيّة للـــروح المسيحيّة: الإيمان، فيه ما يقيم منه شكلاً من مـــرض؛ وكلّ تلك الطرق المستقيمة الشريفة العلميّة التي تقود إلى المعرفة، هي هكذا يجب أن تكون مرفوضة من المسيحيّة كطرق ممنوعة..

الشـــكّ وقـــد صـــار خطيئة، والغياب التام للعناية بالنظافة الجســـديّة لـــدى الكاهـــن ـــ ويَشـــي بذلك النظر ـــ هي نتيجة للانحطـــاط.. يُلاحظ في النساء الهستيريّات، ومن جهة أخرى فـــي الأطفـــال الخَرعِيـــن، كـــيف يَنتظم بشكل شائع التزييف الغريـــزي، ولذّة الكَذب لأجل الكذب، وعدم القدرة على النظر والتقدم إلى الأمام، بوصفها تعابير ومظاهر عن الانحطاط.

الإيمان يعني "عدم ـــ الرغبة" في معرفة ما هي الحقيقة.

ذو الـــتقوى، الكاهن لكلا الجنسين، هو زائف لأنّه مريض: غريـــزته تقتضي ألاّ يسود الحق في أية نقطة: ((ما هو مريض هـــو خـــيّر.. ما يتأتّى عن الحق وعن وفرة وترابي العزم هو شـــر)) هكذا يفتكر المؤمن.. انعدام الحرية تجاه الكذب هذا هو الملمح الذي يتكشّف لي من خلاله أيُّ لاهوتي مكرّس سلفاً.

أمر آخر غَريزي عند اللاهوتي: عدم تمكّنه من فقه اللغة؛ إذ بفقـــه اللغة، وضمن معنى عامّ جداً، يُفهم فنّ القراءة الجيدة، فنّ

القدرة على قراءة الأعمال دون تزييفها عبر التأويل، ومن غير أن يُضيِّع السعيُ الدؤوبُ إلى الفهم الفطنةَ والصبر والتدقيق.

علم اللغة كتثبّت مدقّق في التأويل يُتعامل به الآن مع الكتب، والأنــباء الصحفيّة، ومع التقديرات والوقائع المناخيّة، حتّى لا نتكلّم بشيء عن "خلاص النفس".

إنّ الطريقة التي يؤوّل بها لاهوتيّ، سواء صودف في برلين أو في روما، ((كلمة من الكتاب))، أو حادثة، وعلى سبيل المثال انتصاراً لجيش بلاده، على ضوءٍ علويّ من مزامير داود، هي دائمــاً طــريقة تحكمــيّة، بحيث تجعل الفيلولوجي فاقد الصبر ومجنوناً.

ومــاذا يقــال عــندما أولئك التقاة، وتلك الأبقار السوابيّة[1] يســوّون العيش اليومي التاعس، وهذا المأهل المفعم بالدخان،و الذي هو وجودهم، بـــ (إصبع الله) جاعلين منه أعجوبةَ "نعمة" و"عناية إلهية"، ومعجزة "اختبار الخلاص"؟!!

إنّ حظّــاً متواضعاً من تشدّد النفس والعبقرية، حتّى لا نقول مـــن اللياقة، يجب أن يُري هؤلاء المؤولين الصبيانيّةَ الكليّةَ في هذا الاستعمال المشين لشعوذة "إصبع الله"..

---

[1] حيــث يقــع معهــد توبنجه اللاهوتي في سوابيا والمتأثر بشدّة بالحركة التقويّة.. فهو يسخر من السوابيين. راجع فقرة 10.

إمّا حُزنا قدراً من التقوى في الجسد، أقلّ ممّا هو عليه، فإنّ الله الـــذي يداوينا من نزلة برد، والذي يجعلنا نصعد إلى العربة في اللحظة الأكيدة التي فيها يبدأ انسكاب مطر غادق، يجب أن يكون عندنا ــ إلهاً محالاً، وإمّا وُجِد يجب أن يُبطَل.

إلهٌ كساعٍ، كحامل للرسائل، كبائع جوّال، هو في حقيقة الأمر كلمـــة لتعيين النوع الأكثر حمقاً بين كلّ المصادفات.. ((العناية الإلهــية)) كمـــا يُعتقد بها حتّى الآن كثلثٍ في العبادة الألمانية، تصـــبح معارضَةً ضدّ الله لا يمكن إزاءها التفكير بأخرى أكثر شدّة!

وفي كلّ الأحوال هي معارضة ضدّ الألمان!

- 53 -

أنّ الشـــهداء يدلّلـــون بمعاناتهم على حقيقة، هو اعتقادٌ بالغ الـــبطلان بمقـــدار ما أني أميل إلى إنكار أنّه قد وجد أيّ شهيد يملك، بأيّ معنى، شيئاً يراه عبر الحقيقة..

في النبرة التي يرمي من خلالها الشهيد في وجه العالم معتقده، تتبدّى دركةٌ بالغة الانخفاض من النزاهة العقلية، وخُرقٌ إزاء مسألة الحقّ ممّا لا يحتاج دحضه إلى شهيد.

ليست الحقيقة هي مالا يملكه واحد ويملكه الآخر،إذ هكذا فقط يمكن أن يفكّر حول الحقيقة، كحدّ أقصى، أولئك الريفيون أو الرسل ــ القرويون على طريقة لوثر.

ويتّسع المجال للتأكيد أنّه تبعاً لدرجة التشكّك وشدّة الارتياب المدقّق في المسائل الروحية يتنامى كلّ مرّة أكثر التواضع والتحفّظ في هذه النقطة.

الاستجابةُ للمعرفة حول خمسة أشياء والدفع بأيدٍ نحيلة وبحساسية معرفةَ المناقض لها ورفض البقيّة..

((الحقيقة)) كما يفهم هذه الكلمة كل نبيّ، وكلّ مشايع متعصّب وكلّ مفكّر حرّ، وكلّ عالم اجتماع، وكلّ كهنوتيّ، برهان نهائيّ على أنّه لم يجدْ حتّى بدايةً له ذلك التدريب الروحي وتعليم تجاوز الذات، المُعوَزان لإيجاد أيّ مقدار من الحقيقة ولو في أقلّ ما يكون.

أولئك الشهداء ــ ونقول ذلك عرضاً ــ كانوا مصيبة كبيرة في التاريخ: لقد ضلّلوا وغرّروا .. وإنّ استنتاج كلّ أولئك البلهاء بمن فيهم النساء والعوامّ، أن السبب الذي يندفع باسمه

واحـــد إلى التضحية بنفسه (أو ما يولّد ــ كالمسيحيّة الأولى ــ جائحة تدفع بالناس إلى نشدان الموت) يملك أهمية في ذاته، هذا الاستنتاج يقوم عائقاً لا يوصف يحول دون النقد وروحِ التحليل والحذر..

الشـــهداء أضـــرّوا بالحقـــيقة.. وحتّى اليوم يُحتاج فقط إلى ملاحقـــةٍ بها بعض قسوة لخلق اسم مشرّف لحركة متعصبة لا مبالية في ذاتها. كيف؟! أفيكون ممكناً أن التضحية لأجل قضيّة ما يغيّر قيمتها؟

خطـــأً يصل إلى أن يكون مشرَّفاً لهو خطأً يمتلك من الفتنة قدراً يجعله مغوياً.

أتعتقدون أنتم أيها السادة اللاهوتيون أننا سنتيح لكم أن تكونوا شهداء بسببٍ من كذبتكم؟

تُنقض قضيّة بوضعها بعناية في الثلج، وبذات الطريقة يُنقض اللاهوتي.

وبالتأكيد على هذا قامت، في تاريخ العالم، الحماقة المتعالية لكلّ أولئك المضطهِدين: بإعطاء مظهر مشرّفٍ لدعوى معادية، وبمنحها جاذبيّة الشهيد.

وحـــتّى الـــيوم تتابع المرأة وقوعها على الركب أمام خطأ، بســـبب أنّه قد قيل لها إنّ أحدهم قد مات على الصليب لأجلها. ألعلّ الصليب إذاً حجّة؟!

لكـــن عـــن هذه الأمور كلّها ثمّة واحد فقط قال الكلمة التي كانت هناك حاجة إليها عبر العصور ـــ "زرادشت":

((بعلامات الدم تخطوّن فوق الطريق التي تسلكون، وجهالتكم تعلّم أن الدم يشهد للحقّ.

لكـــنّ الـــدمّ هو الشاهد الأردأ للحقّ، وإنّه ليسمّم حتّى التعليم الأكـــثر نقاءً، مصيّراً إياه هذياناً وتبغضاً في القلوب، وإمّا عبر أحدهم اللهيب لأجل عقيدته، فماذا يبرهن هذا؟

أكـــبر أهميّة منه في الحقيقة، أنّ العقيدة الذاتية تندفق متقدة بلهيبها الذاتيّ)). (زرادشت ـــ الجزء الثاني ـــ فصل الكهنة).

- 54 -

لا نكونـــنّ مخدوعين: النفوس العظيمة متشكّكة. "زرادشت" متشكك..

العـــزيمة، والحـــرية المتأتيّة من القوّة ومن فرط قوّة النفس تتجلّى عبر الشكيّة.

مـــن لهـــم معتقدات من ذواتهم لا يستأهلون أن يؤخذوا في الحســـبان تجـــاه كـــلّ المبادئ الأساسية للقيمة واللا قيمة. إنّ

المعتقدات هي سجون... إنّها لا ترى بعيداً بما فيه الكفاية، ولا تـــرى مـــا تحتها. لكن حتّى تستطيع أن تتكلّم عن القيمة وعدم القيمة يجب أن تنظر خمسمئة عقيدة تحتها ووراءها.

الـــروح المتطلّعة إلى أشياء عظيمة وتريد أن تمتلك الوسائل للإمساك بها هي بالضرورة شكّاكة.

الـــتحرّر مـــن كـــلّ صنف من العقائد وملكةُ النظر بحريّة، ينتســـب إلـــى القوّة.. العاطفة الأعظم، التي هي أساس واقتدار الكينونة التي تنتمي إليها، هي أكثر تميّزاً ومع ذلك أكثر استبداداً مـــنها، إذ تحتكر كلّ ذهنيّتها وتضعها في خدمتها؛ إنها تَصرِف فـــرطَ التشكك المدقّقِ، وتعطي شجاعة إلى حدّ استخدام وسائل أثيمة؛ وفي ظروف ما تمنح قناعات.

العقيدةَ يمكن أن يكون أداة: إنّ كثيراً من الأشياء تُحصّل عن طريقِ العقيدة.

العاطفة العظيمة تستخدم المعتقدات وتستغلّها، ولا تخضع لها إذ أنها تُدرك سيادتها.

بالمقـــابل: الحاجة إلى الإيمان، إلى شيء مطلق، إلى إثبات ونفي؛ "الكارليليّة" إمّا شئتم مسامحتي عن هذه الكلمة، هي حاجة ذاتيّة يمليها الضعف[1].

---

[1] توماس كارليل (1881- 1795) نشر في 4- 1833 كتاب سيرة عقلية الضـــامّ لعنوانيـــن "الـــنعَم الأبدي" و"اللا الأبدي" حيث وصف فيهما طريق

إنسان الإيمان؛ المؤمن، من أي صنف كان، هو بالضرورة تابع وغير مستقلّ، إنه من لا يقدر أن يوطدَ ذاته كفاية، أو يوجِد مقاصد مستنبطة من ذاته.

المؤمن لا ينتمي إلى ذاته، فقط يمكن أن يكون أداة، ويوجب أن يكون مستخدَماً، ويحتاج إلى آخر كيما يستخدمه.

غريــزته تمنح الشرف الأعظم للأخلاق اللا شخصيّة (إنكار الــذات)[1]: كلّ شيء يقنعه بذلك ــ ذكاؤه، خبرته، عبثيّتة. كل شــكل من إيمان هو بذاته تعبير عن هذه اللا شخصيّة، وتنازل عن الذات.

وإذا مـــا قدّرنا كم أنّه ضروري إيجاد منظّم للعدد الأكبر[2] مــن الــناس، يــربطهم ويقيّدهم من الخارج، وكم أنّ الإكراه، وبمعنى أسمى، الاستعباد، هو الظرف الوحيد والنهائي الذي في ظلّه يترعرع الإنسان ذو الإرادة الواهنة وبالأخصّ النساء: إذّاك أيضاً يُفهَم الاعتقاد والإيمان.

المؤمن ذو العقيدة يملك في عقيدته عموده الفقري.

الافــتداء مــن الفلسفة المفيستوفيليسيّة (الشيطانية) للتجريبيّة المتشككة، إلى الفلسفة المتوقدة للمثالية. [P].

[1] يستخدم نيتشه تعبير Ent-selbung ويتألف من Ent التي تعطي معنى التخلّي أو المعارضة لما تُلحق به، selbung وتعني الخصوصية، الذات. [P].

[2] قارن مع 57.

عــدم رؤية أشياء كثيرة، عدم الشعور بحافز البتّة، السلوك دائمـــاً واحداً من جماعة، امتلاك رؤية متعننة وحتميّة تجاه كلّ القيم، هذا فقط يوجد ظرفاً مناسباً لهكذا نوع من الناس.

إنّمـــا بهذا يوجَد النقيض،والمقابل المعادي للإنسان الصادق الحقيقي، وللحقيقة.

ليس المؤمن حرّاً عموماً لامتلاك ضمير تجاه مسألة الحقّ أو غـــير الحـــقّ.. الصيرورة شريفاً مخلصاً في هذه النقطة يعني غرَقه العاجِل ودماره.

المحدوديّـــة الضـــيّقة المرضـــيّة لنظرته تجعل من الإنسان المؤمن متعصّباً:

"ســـافانارولا"، "لوثر"، "روسو"، "روبسبيير"، "سان سيمون"، هم النمط المعاكس للنفس العَزُومة، وللروح الحرّ.

لكـــنّ تلـــك الهيئات الكبيرة لهذه الأرواح المريضة، لهؤلاء المصاريع الفكريين، هي ما تُنزِل تأثيراً على الجماهير الكبيرة.

المتعصّـــبون هـــم لوحـــات تصويرية والبشرية تؤثِر رؤية الهيئات على سماع الحجج.

- 55 -

خطوة أخرى بعدُ في نفسيّة الاعتقاد، و"الإيمان".

منذ زمن طويل قد أخذتُ في الحسبان إذا لم تكن المعتقدات أعداءاً أعظم خطراً على الحقّ من الأكاذيب [إنساني، مفرطٌ في إنسانيته][1].

هـــذه المرّة أريد أن أسأل السؤال الحاسم: أيوجد في النهاية تناقضٌ بين الكذبة والعقيدة؟

كـــلّ الناس يعتقدون أنه يوجد. لكن! أيّ شيء لا يعتقده كلّ الناس!!

كلّ اعتقاد يمتلك تاريخه، أشكاله المسبقة، محاولاته، هفواته: إنّـــه يـــتحوّل ليصير اعتقاداً بعد زمن طويل لم يكنه، بعد زمن أطـــول فـــيه بالكـــاد والجهد الجهيد امتلك أن يكون له وجود. كـــيف؟! ألـــيس ممكناً أنّه خلال هذه الأشكال الجنينية للاعتقاد تتشكل كذبة الكذبة؟

---

[1] انظر مثلاً الفقرة 483: "أعداء الحقّ: المعتقدات هي أعداء للحقيقة أكثر قدرة في المعاداة من الأكاذيب".

مـــن حيـــن لآخر توجد ببساطة حاجةٌ لتغيّر الأشخاص: مع الابن يَحول إلى عقيدة ما كان مع الأب كذبة فقط.

أدعـــو كذبة عدم الرغبة في رؤية شيء مرئي، واللا- إرادة لرؤيته بالطريقة التي يُرى بها: وإذا ما كانت الكذبة تتحقق تجاه شهود أو بدونهم، فإنّ هذا خلوٌ من الأهميّة.

الكذبـــة الأكثر شيوعاً تلك التي بها يكذب امرؤٌ على نفسه، الكذب على آخر هو نسبياً حالة استثنائية.

والآن، فهذا الرفض لرؤية ما هو مرئي،و عدم إرادة الرؤية له كما يُرى، هو الظرف الأساسي المهيئ لكلّ الذين يشكلون ــ بمعنى ما ــ زمرةً، وعصبة: رجل الزمرة يتحوّل ضرورةً إلى كّذاب.

إنّ المؤرخيـــن الألمـــان، كمـــثال، مقتنعون أنّ روما كانت الاستبداد وأنّ الألمان حملوا إلى العالم روح الحريّة.

فما الفرق بين هذا المعتقد وكذبة؟

أيمكنـــنا أن نندهش من أنّ كلّ المتحزبين، وحتّى المؤرخين الألمان، يملكون غريزيّاً في أفواههم الكلمات الكبيرة الأخلاقية، ومـــن أن الأخلاق تحيى فقط تقريباً لأنّ رجل التحزّب من كلّ صنف تملكه ضرورة إليها في كلّ لحظة؟

((هـــذه هـــي عقيدتـــنا: وإننا لنجاهر بها العالم، نحن نحيى ونموت لأجلها.. الاحترام لكلّ من يملكون عقيدة)).

كلمات كهذه سمعتها حتّى من أفواه المعادين للساميّة.

بالمقـــابل أيّهـــا الســـادة، فإنّ معادٍ للسامية ليس أكثر لياقة واحتراماً لكونه يكذب بطريقة أصلية منتظمة.

إنّ الكهـــنة الذيـــن في هكذا أمور هم أكثر دهاءً، ويعرفون تماماً وبشكل أفضل، التعارض الكامن في مفهوم العقيدة، يعني في الكذب الممارس بشكل منهجي، وأساساً لأنّه يلائم الغاية، قد ورثـــوا مـــن اليهود المقدرة ليُدخلوا في هذا الأمر فكرة "الله"، "إرادة الله" و"الوحي المقدّس". وإنّ "كانطْ" نفسه بأوامره القطعيّة، صودف في الحالة ذاتها، والعقل عنده عاد عمليّاً:

- ثمّـــة مســـائل، تقريرُ ما فيها من حقّ أو بطلان لا يُسلّم قياده للمرء: كلّ تلك المباحث الرفيعة، كلّ تلك المشاكل السامية القـــدر تكون فوق العقل البشري... إدراك حدود العقل هذه هي فقـــط الفلسفة الحقيقيّة. لماذا يحمل الله الوحي إلى الإنسان؟ هل يفعل الله شيئاً نافلاً ولا حاجة له؟ الإنسان لا يقدر أن يعرف من نفســـه مـــا هو خير وما هو شرّ. لذلك يرشده الله إلى إرادته.. مغـــزى أخلاقـــي: الكاهن لا يكذب ـــ السؤال عمّا هو "حقيقي" وعمّـــا هـــو "لا حقيقي" لا يوجد في الأشياء التي يتحدّث عنها

الكاهــن.. هــذه الأشياء لا تسمح حتّى بالكذب.. ذلك أنّه لأجل الكــذب تتوجــب القدرة على تقرير ما هو هنا الحقّ، لكن هذا بالتأكيد لا يستطيع أن يقرّره الإنسان: الكاهن هو إذاً ممثّل الله[1].

هــذا القياس الكهنوتي ليس، ولا بأية طريقة، يهودياً فقط أو مسيحياً:

حــقّ الكــذب والأهلــيّة لتلقي الوحي هما خاصيّتان للنوع الكهني، بمقدار ما ذاك لكهنة الانحطاط هو كذلك لكهنة الوثنيّة؛ (إنّ الوثنييــن هــم أولئك الذين يقولون أجل للحياة، والله عندهم كلمة لقول أجل عظيمة لكلّ الأشياء).

التشــريع، الإرادة الإلهية، الكتاب المقدّس، الوحي، هي فقط كلمــات، تعيّــن الظــروف التــي يحصّل فيها الكاهن القدرة المتسلّطة، وبها يحافظ على قوّته. هذه المفاهيم توجد في أساس كــلّ التنظيمات الكهنوتية، وكلّ الأشكال الكهنوتيّة والفلسفة ــ الكهنوتيّة.

الكذبة المقدّسة شائعة عند "كونفوشيوس" وفي "قانون مانو"[2] وعند "محمّد" والكنيسة المسيحيّة، وليست تعوز "أفلاطون".

---

[1] كلّ هذه الفقرة سخرية مرّة متمرمرة تحكي مواقف "كانط".

[2] Manu shastras المشــرّع الهــندي في المرحلة الملحمية ذو الشهرة الأسطورية الذي ينسب إليه هذا العمل والذي شكل القاعدة القوية للعديد من النظم القانونية وسلّم القيم الأخلاقية.

"الحقــيقة موجــودة هنا" هذه الكلمات حيثما نُطِقَ بها تعني: الكاهن يكذب.

- 56 -

في النهاية، جوهر الأمر يكمن في الغاية من الكذب.

واعتراضـــي على وسائل المسيحيّة هو أنّ هذه ينقصُها تلك الغايات "المقدّسة" فثمة فقط غايات رديئة: تسميم، افتراء، إنكار للحـــياة، احـــتقار للجسد، حطّ وتحقير ذاتي للنفس عبر مفهوم الخطيئة. وبمقدار سوء هذا فوسائلها سيئة وشريرة.

يعتمل فيّ الشعور النقيض عند قراءة "قانون مانو": عملٌ سامٍ وروحي لا يمكن أن يُضاهى. والإشارة إليه سويّة مع التورات تكون خطيئة ضدّ الروح، وسراعاً يُحْذر لماذا: لأنّه يمتلك خلفيّة مـــن فلســـفة حقيقيّة، توجد في داخله كذلك، لا أنّه يهوديّة نتنة، مخـــتلطة مـــن حاخامية "Rabinismo" وتطيّر مخادع؛ ولأنّه يعطـــي حـــتّى أولئك النفسانيين الأكثر لطفاً شيئاً يعضّونه ولا يـــتركهم صـــفر اليدين، ودون نسيان الأساس والفرق الجذري العمـــيق تجـــاه كـــلّ صـــنف توراتي: الطبقات الأرستقراطيّة،

الفلاسفة، المحاربون هم الذين في "قانون مانو" يحكمون الشعب ويسودونه؛ عبر كلّ نظم القيم الأرستقراطيّة، وبشعورٍ بالكفاية، وتأكيدٍ للحياة، ومسرّة غلاّبة بالذات وبالحياة، هذا الكتاب يكون مسربلاً بالشمس ومؤتلقاً[1].

كــلّ تلك الأمور التي سَكبتْ فوقها المسيحيّة حطّتَها التي لا يســبر لها غور، وكمثال: الإنجاب، المرأة، الزواج، تعامل هنا في "قانون مانو" بجديّة وتوقير، بحبٍّ وثقة.

كيف يمكن أن يوضع بين أيدي النساء والأولاد كتاب يحتوي هذه العبارة الشائنة:

((ولكن بسبب الزنا فليكن لكلّ واحد امرأته، وليكن لكلّ واحد رجُلها.. لأنّ التزوّج أصلح من التحرّق)) اكو 7: 2، 9

كــيف يمكــن للمرء أن يكون مسيحيّاً حين يجد أنّ أصول سلالته قد نُصِّرت، هذا يعني دُنّست بمفهوم (الحبل الدنس)؟

---

[1] فــي كتابه كبار مفكري الهند ومذاهبهم يستشهد ألبرت اشفيتزر بما قاله نيتشه أعلاه ليأخذ عليه أنّه لم يفهم أنّ روح الإنكار هي التي تؤثر في هذه القوانيــن ويتابع: "وفي كتابه إرادة القوة كتب نيتشه يقول: في قوانين مانو يوجــد نوع من الساميّة، أي من روح الكاهن، أسوأ ممّا يوجد في أيّ مكان آخر". لكن نيتشه يأخذ الأمر من وجهته.

لســت أعرف أبداً كتاباً يجعل المرأة أهلاً لهكذا أشياء لطيفة وكـريمة، ككـتاب "قـانون مانو".. فأولئك العجائز القديسون يتعاملون مع النساء بكياسة ولطف لم يُجاوَزا أبداً:

((فـم امرأة ــ يُقرأ فيه ــ صدر صبيّة، صلاة طفل، دخان ذبيحة، هي دائماً نقيَة)) وفي مكان آخر: ((لا يوجد ما هو أكثر نقـاءً مـن نور الشمس، ظلّ البقرة، الهواء، الماء، النار ونَفَسُ صـبيّة)) عبارة أخرى لعلها أيضاً كذبة مقدّسة: ((كلّ الفتحات مـن فوق السرة هي طاهرة، كلّ الفتحات تحتها دنسة. فقط في صبيّة، جسدها بكليّته طاهر)).

ـ 57 ـ

عـدم قداســة الوسائل المسيحية يُضبط بالجرم الجليّ عندما تُقــارَن الغائــية المسيحيّة مع غائيّة "قانون مانو" ويوضع تحت نور قويّ هذا التباين الأقصى للغايات.

نقد المسيحيّة لا يمكنه أن يتجنّب تحقير المسيحيّة.

قانون "كقانون مانو" مؤصّل ككلّ قانون جيّد: يلخّص الخبرة، الذكاء، الأخلاق الاختبارية لقرون طويلة، ينظّم ويقنّن ولا يخلق قطّ.

المقدّمة القياسيّة لتقنين من هذا النوع، هو الحكم المعرفي بأنّ الوسائل الموفّرة للسلطة الذاتيّة على حقيقة محصّلة ببطء وبثمن باهظ، هي في العمق مختلفة عن تلك الوسائل التي يستطاع بها إظهار تلك الحقيقة.

ليس من تشريع يتحدّث عن الفائدة، الصواب، الإفتاءات الموجودة في قانون سابق له، بتوقير: إذ بهذا الفعل، سوف يخسر اللهجة الأمرية، الـ (يجب عليك)، وما يتيح له أن يكون مُطاعاً.

فالمشكلة تكمن هنا حقاً.

في نقطة معينة من تطوّر شعب فإنّ الطبقة الاجتماعية الأكثر فطنة، أي تلك التي نظرها ينفذ بعمق أكبر في الماضي والمستقبل تعلن الخبرة المجرّبة التي يجب ـ يعني يمكن ـ أن يعاش وفاقاً لها.

غاية هكذا طبقة جني الثمار الأكثر وفرة وغنى وكمالاً لأزمان الخبرة، وأزمان التجربة السيئة.

الذي يجب بالتالي تجنّبه قبل الكلّ متابعة فعل الخبرة وإطالةِ الحالــة السائلة المائعة للقيم، والفحص والاختيار، ونقد القيم إلى مالا نهاية.

ولأجل هذا يُقام سوران:

ـ الأول: الوحــي، الذي يؤكّد بأنّ مصدر تلك الشرائع غير بشــري، وأنها غير مستقصاة وموجَدة شيئاً فشيئاً وبعد سلسلة مديــدة مــن الأخطاء، وإنّما ـ كونها من مصدر إلهي ـ هي كاملة، تامّة، بلا تاريخ، عطية، عجائبية، وببساطة هي بلاغ.

ـ الثانــي : التقليد، الذي هو توكيد بأن الشريعة قد تواجدت مــنذ أزمان قديمة، وأنّ وضعها في الشكّ يعني اللا ـ تقوى، وسيكون جريمة ضدّ الأسلاف. لقد أسست سلطة الشريعة فوقَ القضيتين التاليتين: الله أعطاها، والأسلاف عاشوها.

السبب الأعلى لهكذا مسلكيّة يُصادف في مقصدية الرجوع ـ شيئاً فشيئاً ـ إلى وعي الحياة المعدودة قويمةً وحقة (هذا يعني مظهــرة بواســطة تجربة خبروية واسعة، ومغربلة بشدّة) بنيّة تحصيل التسيير الذاتي المطلق للغرائز، هذا الظرف الأولي لكلّ نوع من براعة وتمام في فنّ الحياة.

وإنّ ترســيخ قــانون على طريقة قانون مانو يعني أن تُقدّم لشــعب الكفاءة ليصبح معلّماً بارعاً، ليصل إلى أن يكون تامّاً،

ولـيطمح إلى الفن الأسمى للحياة. ((لأجل هذا يجب جعله فاقد الحس والشعور)). هذه هي الغاية لكلّ كذبة مقدّسة.

نظام تمايز الطبقات الذي هو القانون الفائق والمسيطر، هو فقط التصديق على تنظيم طبيعي، وشرعية طبيعيّة من المرتبة الأولـى، التـي لا يملـك فوقها أيٌّ افتئات متعسّف وأيّة "فكرة حديثة" أيّةَ قدرة.

في كلّ مجتمع سليم تُميِّز وتشترط تبادلياً، ثلاثة أنماط مختلفة مـن الأوزان النفسـيّة، وكلّ واحد من هذه يمتلك علم صحته الخاصة، ومملكته الخاصة في العمل، وشكلاً خاصاً من حساسية الكمال والبراعة. إنّها الطبيعية وليسَ مانو التي تفرّق في ذاتها بيـن: الـرجال المسيطرين عقليّاً، وأولئك المتصفين بالرجولة الجسدية، وأولئك الذين لا يملكون شيئاً لا من هذا ولا من ذاك، الأراذل. هـؤلاء الأخيرون هم الأكثرية الكبيرة (العدد الأكبر) بينما الأوّلون هم المختارون.

الطـبقة العليا ــ والتي أدعوها "الأقليّة" ــ كونها الأتمّ تملك كذلـك امتـيازات الأقلية، وفيها يتمثّل تجسيدٌ للسعادة والجمال والطيبة فوق الأرض.. فقط هؤلاء الرجال ذوي الأرواح الكبيرة يملكون الإذن للجمال والجميل: وفقط فيهم الطيبة ليست ضعفاً. الجمال امتياز الرجال القلائل.. والخير امتياز.

وبالمقابل لاشيء يلقى عندهم أدنى قبول كالأساليب القبيحة، أو نظـــرة أنانـــيّة، أو عين لوّامة، وأدنى حتّى مع ذلك المَوْجَدَة على الهيئة العامّة للأشياء.

الحقد ميْزَةُ الطبقة الحقيرة [الشاندالا]، وبذات القدر الأنانيّةُ.

((العـــالم كامل مضبوط ــ هكذا تتحدّث غريزة رجال الفكر أولاء، الغريـــزة التي تؤكد ــ وما هو غير كامل، المنحط أسفل منّا من كلّ صنف، التفاوت الطبقي، ومعاناة التفاوت، الشاندالا نفسها، تشكل كلّها مع ذلك جزءاً من هذا الكمال)).

إنّ هــؤلاء الــرجال ذوي الهمّـــة، بكونهـــم الأكثر عزماً، يصـــادفون ســـعادتهم هـــناك حيث لا يصادف الآخرون غبر دمارهم: في المتاه، في القسوة تجاه الذات، وتجاه الآخرين، وفي المحاولة. مسرّتهم في الانتصار على نفوسهم، والتقشّف يتحوّل فـــيهم إلى طبيعة وإلى ضرورة، وإلى غريزة. الواجب العسير يعنـــي لهـــم امتيازاً، ليتاح لهم أن يستخفوا الأحمال التي تسحق الآخرين، ويعني لهم تسلية. .والمعرفة شكلاً من تقشّف وزهد. إنهـــم الجـــنس الأكثر احتراماً بين الناس، وهذا لا ينفي كونهم الأكثر مسرّة، والأكثر لطفاً.

إنهم يحكمون لا لأنهم يتقصدون بل لأنّ هذه كينونتهم، وهم ليسوا أحراراً في أن يكونوا التالين.

أولـــئك التالون في المرتبة الثانية: هم الحرّاس على الحقّ، والمعتنون بالنظام وضمان الأمان. إنهم المحاربون النبلاء، وقبل الكـــلّ المَلِك المعدود صيغة عليا من المحارب، ومن القاضي، والحافظ للقانون.

التالون هم الذراع المنفّذ لمن هم أكثر ذكاءً، وهم الأكثر دنوّاً مـــنهم، والذيـــن يخففـــون عنهم كلّ أثقال واجبات الحكم، إنهم مرافقتهم، يدهم اليمنى، وأفضل تلامذتهم.

فـــي كـــلّ هـــذا ـــ أقول مرّة أخرى ـــ ليس ثمّة شيء من عسف، أو اصطناع؛ ما هو متغيّر هو صنعي، والطبيعة (الطبع) حيـــنها تتضـــرّر. تنظـــيم الطبقات، والزعامة، وحدها تصوغ القـــانون الأعلـــى للحـــياة نفسها، والفصل بين الطبقات الثلاث ضروري لحفظ المجتمع، ليكون ممكناً قيام أفراد راقين، ووجود رقيّ.

عدم المساواة في الحقوق هو الشرط الأوّل كيما توجد حقوقٌ على العموم. الحقّ هو امتياز.. وبحسب طريقة وجوده فإنّ كلّ واحـــد يملك امتيازه. لا نحتقرنّ حقوق الأوساط. إنّ الحياة التي تريد أن تزداد علوّاً تصير بازدياد أكثر قساوة، والبرودة تزداد، والمسؤولية تعظم. إنّ حضارة عالية هي هَرَمٌ. فقط يمكنها أن تنهض وترتفع فوق أرضيّة واسعة، ممتلكة لأساس أوّلي أواسط

نـــاس أقوياء وسليمي الوطادة. إنّ الأعمال المكتبيّة، والتجارة، والزراعة، والعلم، والجزء الأكبر من الفن، وبكلمة الكليّة التامّة فـــي الاختصاصات الفعليّة، فقط تتوافق جيّداً مع متوسّط القدرة والرغائـــب، وكـــلّ هـــذا يغـــدو فـــي غير محلّه بين الرجال الاستثنائيين، والغريزة الملائمة المختصّة ستكون متعارضة مع النبالة بمقدار ما تتعارض مع الفوضوية.

ليكون المرء نافعاً عموميّاً، عجلةً، وظيفةً، يجب تَوَفُّر طبيعة مقـــرَّرة: والذي يصنع من الرجال آلات ذكيّة ليس المجتمع بل ذلك النمط من السعادة الذي بمكنة الأغلبيّة. فمن التوفيق والحظّ الطيّـــب عـــند الوسط أن يكون وسطاً. البراعة في أمر واحد، التخصّـــص، غريـــزة طبيعيّة. وسيكون أمراً غير جدير إطلاقاً بـــروح عميقة النظرُ إلى الأواسط كمعارضة في ذاتها. إنّها في طبيعتها الضرورة الأوليّة كي يوجد أولئك المميزون؛ وحضارة رفيعة مشروطة بالأواسط. وعندما يتعامل الرجل الفذّ المميّز مع الأواسط بأنامل رقيقة بأكثر ممّا مع ذاته أو مع أمثاله، فإنّ هذا ليس دماثة قلب وكفى، وإنّما ببساطة واجبه.

من تراني أبغض بالأكثر بين العامة المحدثين، رعاع اليوم؟ إنهـــم رعـــاعُ علماء الاجتماع، رسلُ الشاندالا، الذين بكينونتهم

المحــدودة يقوّضون الغريزة والسرور والشعور بالرضى عند العامل، والذين يجعلونه حسوداً ويعلّمونه أن ينتقم.

الجور لا يوجد البتّة في الحقوق المتفاوتة، وإنّما في المطالبة بتساوي الحقوق.

مــا هو الشرّ؟ إنّه ما قد قلته: إنّه كلّ ما يتأتّى عن الضعف، والحسد، والانتقام.

والفوضوي والمسيحي لهما الأصل ذاته.

- 58 -

حقّــاً يوجد اختلاف يُبنى على الغاية من الكذب: فليس سواء أن يُكذب للصون، أو يُكذب للهدم.

بيــن المســيحي والفوضوي يمكن أن تُرسم موازاة كاملة. غايــتهما، غريــزتهما، ترمي فقط إلى التخريب.. ولإثبات هذه العــبارة يتوجب فقط أن تُقرأ في التاريخ: إنّه يتضمّنها بوضوح مرعب ــ لقد انتهينا من معرفة التشريع الديني الذي يمتلك غايةَ "تخلــيدِ" تلــك الظروف السامية التي تقوم على تنظيم المجتمع، حتى يمكن للحياة أن تزدهر.

أمّـــا المسيحيّة بالمقابل فقد لاقت مهمّتها التبشيريّة في وضع نهاية لهكذا تنظيم والتخلّص منه، لأنّ به تزدهر الحياة.

هناك، غلّةُ الحكمة عبر أزمان مديدة من التجارب والشكوى وجــب أن تكــون مستخدمة للمنفعة القصوى، والحصيلة بالغة الكـبر، بالغـــة الغـنى، بالغة الكمال، قد وجب أن تُجمع. هنا، بــالعكس، المحصـــول يُسمَّم من الصباح إلى المساء.. ما كان ((أكــثر خلــوداً من البرونز))[1]، أي الإمبراطورية الرومانية، التنظيم الأكثر عظمة الذي قيّض له أبداً أن يوجد تحت الظروف الصــعبة، والـــذي بالمقارنة معه كلُّ السابقين واللاحقين يُعَدُّون شــظيّة، وخـــراقة، ومحاولَة، نوى قديسو الفوضى أن يدمروه تحــت شعار الرحمة. أولئك القديسون الفوضويون يَعُدّون "فعلاً رحيماً" تدمير العالم، وهذا يعني تدمير الإمبراطورية الرومانية حــتّى لا يــبقى حجــرٌ فــوق حجر، حتّى أنّ أولئك الجرمان والأجلاف الريفيين تمكّنوا من أن يسيطروا عليها.

المسيحي والفوضوي: كلاهما منحطّ، وكلاهما غير قادر أن يعمــل بطريقة أخرى سوى التفسيخ والحلّ، والتسميم، وخسف الحيويّة، ومصّ الدماء؛ كلاهما مع غريزة البغضاء حتّى الموت

[1] فــي ختام عمل Horacio المدعوّ "odas" الكتاب الثالث، 30 يقول: "ها قد انتهيت من بناء نصب أكثر خلوداً من البرونز" طبعة Clásicos Èxit.

لكـــلّ مـــا هو منتصب، مُتشامخ، ويمتلك ديمومة، ولكلّ ما يَعِد الحــياة بمســتقبل.. لقــد كانــت المســيحيّة مصــاص دماء الإمــبراطورية الرومانــيّة، وقد أفسَد بين المساء والفجر العمل الواســع للــرومان للفــوز بأرضٍ لأجل حضارة عظمى تمتلك الــزمان. أفذلك غير مفهوم حتّى الآن؟ الإمبراطورية الرومانية التــي نعرفها، تاريخ المقاطعات الرومانية التي تجعلنا كلّ مرّة نعرف أكثر: أكبر عمل فني مُعجِب من طراز رفيع، كانت بدايةً فقط، وبناؤها حُسب ليكون مشهوداً عبر ألفيّات؛ وحتّى اليوم لم يُشهَد مثيل لهذا، ولا حتّى فُكِّر بالبناء على المقياس نفسه لأجل الخلود!

هــذا التنظــيم كان وطيداً وراسخاً كفاية كما لأجل احتمال أباطرة سيئين.

صــدف الأشــخاص لا يجب أن يكون لها تدخّل وتأثير في هكذا أمور: هذا هو المبدأ الأوّل بين مبادئ كلّ عمارةٍ عظيمة.

لكــنّ هــذا التنظيم لم يكن راسخاً كفاية، في مواجهة جنس الفســاد الأكــثر فساداً، وضدّ المسيحي؛ هذه الدودة الخفيّة فلا تُــرى، فــي الظلمة في الضباب وفي الغموض المبهم، تتسلّل مهاجمة كلّ الأشخاص ممتّصة منهم جدهم تجاه الأمور الحقة، وغريزتهم تجاه الوقائع. هذه الزمرة الخسيسة الجبانة، المخنّثة،

والمائعة الرقّة، غرّبت شيئاً فشيئاً تلك "النفوس" عن تلك المباني الهائلـــة- تلـــكَ العناصرَ الطبعيّة القيّمة، النبيلة الرجولية التي تشـــعر وتحس بقضيّة روما كأنها قضيّتها الشخصيّة، وجديّتها الذاتيّة، وافتخارها الخاصّ.

مراوغات المنافقين، السريّة الديريّة، ومفاهيمٌ معتمة كالجحيم وكالتضـــحية بالبريء وكالإتحاد السرّي في شرب الدم، وفوق الكـــلّ النار المُسعَرة بأناة للانتقام ــ انتقام الشاندالا ــ: هذا ما غلب روما، وهو نفس النمط الديني الذي في شكل وجود أسبق وقف مضاداً لـــ *"أبيقورس"*[1]. يُقرأ *"لوكريتيوس"* لأجل فهم ما صـــارعه "أبـــيقورس"، والذي هو "المسيحيّة" لا الوثنيّة، أعني الفساد الروحي عبر مفهوم الخطيئة، العقاب، والخلود.

"أبـــيقورس" صـــارع العـــبادات السردابيّة، وكلَ المسيحيّة الكامـــنة. إنكـــار الخلـــود كان في هذه الحقبة تحريراً وخلاصاً حقيقـــياً. وقـــد انتصـــر أبـــيقورس. وكـــلّ روح محـــترم في الإمبراطورية الرومانيّة كان أبيقورياً.

إذّاك ظهـــر "بولـــس"... بولـــس الذي هو بغضاء الشاندالا متجسّـــدة، ومتحوّلة إلى عبقري داهية ضدّ روما، ضدّ "العالم"؛ إنّه اليهودي، اليهودي الخالد بتميّز والجوّال الأبدي.

---

[1] يرفض أبيقورس أيّ تدخّل إلهي في شؤون الكون أو الإنسان [P]

لقــد كان ما اكتشفه هو كيف يمكن بمساعدة حركة صغيرة مســيحيّة متعصّــبة، قائمــة على حافّة اليهوديّة، إشغال حريق عالمــي، وكــيف أنّــه برمز ((الله معلّق على الصليب)) يمكن تجمــيع كلّ الذين هم في الأسفل، وكلّ الذين يكنّون نوايا سريّة متمرّدة، وكلّ ميراث الحركات الفوضويّة في الإمبراطورية، في قوّة هائلة. ((الخلاص يأتي من اليهود)) [انجيل يوحنّا 4: 22]. المسيحيّة صيغةُ تجاوزٍ وتفوّقٍ على العبادات السردابيّة من كلّ صنف: أوزوريس، عبادات الأم الكبرى، ميثرا، كأمثلة، وتجميع اختصاري لهم . وبمعرفة هذا تقوم عبقرية "بولس"[1]. وفي هذه الــنقطة كانــت غريزته واثقة بحيث أنّها ــ بعنف لا يلين ضدّ الحقــيقة ــ وَضَــعَتْ في فم المخلّص، وليس فقط في فمه، هذا

---

[1] أوزوريــس الإلــه المصري الصائر إلهاً للموتى، والأمّ الكبرى سيبيل الفريجيّة التي كانت تعظم أيضاً في روما بعيدها الربيعي وتهتف الجماهير آخر يوم حاملين صورتها في موكب نصر Nostra domina ، وميثرا إله فارسي انتقلت عبادته إلى أقصى تخوم الإمبراطورية الفارسية كإله للنور، وكــان كهنته يقولون بحشر الناس أمامه ليحكم فيهم. تلك الحالة المأساوية لتغلغل الديانات الشرقية التي يدعوها ديورانت في الجزء الثالث من المجلد الثالــث بالتــيار الشــرقي الجــارف، غلبت روما. ونافست المسيحيّة هذه الديانات المماثلة وصار لها الغلبة، ويكفي أنّ المسيحيّة أخذت توقيت ميلاد يســوع مــن ديانــة ميثرا وهذا ما يشير نيتشه إلى نمطيّته في حديثه عن بولس.

المخلّــص المخــترع من قبله، تلك الأفكار التخيّليّة التي خلبت أديان الشاندالا تلك.

لقد صنع من المخلّص شيئاً يمكن أن يكون مفهوماً أيضاً من كاهن لميثرا.

هــذا مــا كانته لحظة دمشق: لقد أدرك الحاجة إلى الإيمان بــالخلود لكي يُزدرى العالم، وأنّ مفهوم "الجحيم" سوف يتحكّم بروما. وأنّه مع "الآخرة" تُقتل الحياة..

عدمــيّ، مسيحي لهما قافية واحدة[1]، لكن ليس القافية فقط، بل يسلكان الطريق نفسها.

- 59 -

كلّ عمل العالم القديم كان بهذا مُبطلاً وعبثاً: لست أصادف الكلمـــة التي تعبّر عن شعوري إزاء شيء بالغ الإرعاب كهذا. وآخذاً في الحسبان أن ذلك العمل كان عملاً مهيئاً له، إذ بوعي صلب كالغرانيت، وُضعتْ الأسس لعمل من أجل ألفيات السنين، إنّما كلّ معنى العالم القديم قد أُبطل.

---

[1] في الألمانية الكلمتان هما Nihilist و Christ. [P]

لمـــاذا أولئك اليونان؟ لأيّ شيء الرومان؟ كانت كلّ ظروف حضارة واعية وكلّ المناهج العلميّة هي الآن هنا، وقد قُرّر الفن الأعظـــم الـــذي لا يضاهى للقراءة الجيدة.وهذا الظرف الممهّد لتقلـــيد حضـــاري، لوحـــدة العلم، العلم الطبيعي في تحالف مع الرياضـــيات والميكانيكا، كان موضوعاً فوق الطريق الأفضل. معـــنى الأعمال النهائي والأثمن بين المعاني، كانت له مدارسه وتقاليده القديمة لقرون.

هـــل هذا مفهوم؟ كلّ الجوهري للشروع في العمل قد وُجِدَ: المـــناهج، ويجـــب أن أقـــول ذلـــك عشـــر مرّات، هيَ الأمر الجوهـــري، كذلـــك هـــي الشيء الأكثر صعوبة، والذي يجابه مضاداً له ــ وخلال زمن طويل ــ العادةَ والكسل.

الـــذي قـــد أحرزناه اليوم بموجب تغلّب هائل وسيطرة على الـــذات، [ذاك أننا جميعاً حتّى اليوم نحمل بطريقة ما في دمائنا الغرائـــز الرديئة المسيحيّة]، أي النظرة الحرّة إلى الواقع، اليد الحـــذرة، الصبر، الجديّة تجاه أصاغر الأمور، كلّ النزاهة في المعرفة، هذا كلّه كان هنا! وقد وجد منذ قرابة ألفي سنة!

وبالإضـــافة قـــد وجـــد اللمس والذوق الجيدين، الرفيعين.لا كـــترويض للدمَاغ! لا كتثقيف ألماني بطرق مملّة! إنّما كجسد، كسِمَة، كغريزة، وفي كلمة: كواقع.

كلّــه بــاطل!! وبين مساءٍ وصباح، لم يبقَ سوى الذكرى! يونان! رومان! نبالة الغرائز، الذوق، البحث المنهجي، عبقرية التنظـيم والإدارة، الإيمـان بمسـتقبل الإنسان، والعزم لأجله، التوكـيد الكبير لكلّ الأشياء، جميع الأشياء التي تحسّها الحواس كلّهـا، كالإمـبراطورية الرومانـية، النمط العظيم لا فقط كفن محـض، وإنّمـا متحوّلاً إلى واقع وحقيقة وحياة، هذا كلّه بين مسـاء وصباح بَات مدفوناً لا بفعل كارثة طبيعيّة! وموطوءاً لا من قِبَل الجرمان أو الأجلاف الآخرين! وإنما.. مفككاً بمصاصٍ للدماء مراوغ، كامن، غير منظور، ومفتقر إلى الدم!

لم يُغلب، فقط مستنزفاً!

الميل الخفيّ للانتقام والحسد الصغير تحوّل إلى سيد! كلّ ما هو بائس، ما هو معانٍ في ذاته، ومبتلى بالشعور الرديء، كلّ عالم الجيتو Gueto النفسي، بضربةٍ صار في الأعلى!

فلـيُقرأ فقـط أيّ مهزوز مسيحي، مثل *"سان أوغسطينس"*، مثلاً، وسيفهم ويُحَسّ أيّ أناس ملوَّثين صاروا في الأعلى.

إنــنا لــنخدع أنفسنا إمّا اعتقدنا أنّ قادة الحركة المسيحيّة قد نقصــهم الفهم: آه! كانوا حاذقين، حاذقين حتّى القداسة، أولئك الســادة آبــاء الكنيســة! إنّ مــا ينقصهم كان أمراً آخر شديد الاخــتلاف. الطبــيعة لم تكن كريمة معهم وأهملتهم، نسيت أن

تـــزوّدهم بهـــبة متواضـــعة من فطرة تستحق الاحترام، لائقة محتشمة، ونظيفة..

الكلام فيما بيننا: ولا حتّى هم رجال..

إنّ الإسلام لدى احتقاره المسيحيّة يمتلك ألف مرّة الحقّ بأن يفعل ذلك:

إذ الإسلام يتطلّب الرجال.

- 60 -

لقد حرمتنا المسيحيّة من مجاني الحضارة القديمة، وفيما بعد حرمتنا من ثمار حضارة الإسلام.

العـــالم الغرائبي لحضارة العرب في إسبانيا، والذي هو في الأساس أكثر قرباً إلينا من روما واليونان، والذي يتناسب أكثر مع شعورنا وذوقنا، قد غُمر ـــ ولست أقول بأية أقدام ـــ لماذا؟ لأنّـــه صـــدر، لأنّـــه دان بمولـــده لغرائز أرستقراطيّة، لغرائز

رجولية، لأنّه أكّد الحياة بما فيه من الغنى النادر والمهذب للحياة الأندلسيّة[1].

الصـــليبيّون حـــاربوا في زمن آخر ضدّ أمر كان عليهم أن يـــرتموا أمامه فوق التراب: حضارة تجاهها حتّى قرننا التاسع عشر يبدو بالغ الفقر، بالغ التأخّر. طبعاً الصليبيون تطلعوا للقيام بتمرّد: والشرق كان غنيّاً.

هلاّ نكن غير متحيّزين؟! إذاً فالصليبيون كانوا قرصنة رفيعة لا أكثر!

النبالة الألمانية، التي هي أصلاً نبالة فايكنغ، كانت في بيئتها الملائمـــة مع الحملات الصليبيّة: لقد عرفت الكنيسة تماماً كيف تربح النبالة الألمانية... النبالة الألمانية، التي كانت دائماً ما كانه السويسريون، مرتزقة الكنيسة، الخادمين دائماً لغرائزها السيئة، إنمّـــا المأجوريـــن جيداً.. بالتأكيد بمساعدة السيوف الجرمانيّة، وبـــالدم والشجاعة الجرمانيّة، أقامت الكنيسة حرباً مستميتة ضدّ كلّ نبالة موجودة فوق الأرض.

حول هذه النقطة، ثمة مقدار من الأسئلة المؤلمة.

---

[1] مـــا يعـــرفه نيتشـــه عن الإسلام منبعه يوليوس ويلهاوزن: بقايا الوثنية العربـــية 1887 وأوغســت مولـــر: الإسلام في الشرق والغرب – برلين 1885 . [P]

النـبالة الألمانية لولا قليل لبقيت مغيبة من تاريخ الحضارة الراقـية. ويمكـن أن يُخمّن السبب: المسيحية والكحول، هاتان الوسيلتان الكبيرتان للفساد.

هنا لم يكن ثمة شكوك في الاتجاه الذي يُتخذ، لا بين الإسلام والمسـيحية، ولا بالأولى بين عربي ويهودي. القرار قد أُتّخذ، ولا أحـد هنا حرّ في اختياره. إمّا أن يكون شاندالا أولا يكون شـاندالا: ((حـربٌ بلا هوادة على روما[1]، سلام وصداقة مع الإسـلام)) هكـذا فكّـر، وهكذا فعل ذلك الروح الكبير الحرّ، العبقري بين الأباطرة الألمان: *"فريدريك الثانـي"*.

كـيف؟ أيكون أنّ ألمانياً عليه أن يكون أوّلاً عبقريّا، مفكّراً حرّاً، للشعور بطريقة لائقة؟ لست أفهم كيف أنّ ألمانياً يمكن أبداً أن يمتلك مشاعر مسيحيّة.

- 61 -

هنا من الضروري ملامسة ذكرى هي مئة مرّة أكثر إيلاماً للألمـان. إنّ الألمـان قدحرموا أوروبا الحصاد الأخير الأكبر؛

---

[1] روما البابوية.

المحصـــول الأخـــير الـــذي أنتجته أوروبا، محصول النهضة. أفيُعرف بسهولة، إمّا أريد ذلك، ما كانته النهضة؟ كانت تحويلاً فـــي القـــيم المسيحيّة، كانت محاولة مُقدَمٌ عليها بكل الوسائل، مستعانٌ لأجلها بكلّ الغرائز، وبكلّ عبقريّة، لحمل القيم المعاكسة والقيم النبيلة إلى ملء غلبتها.

حـــتى الســـاعة لم يوجد ما يربو على هذه الحرب العظمى، وحـــتّى الســـاعة لـــم توجد مسألة أكثر إلحاحاً من التي أقامتها النهضة؛ ومشكلتي هي مشكلتها...

لـــم يوجـــد بالمـــرّة كذلـــك أيّ شكل من الهجوم أكثر عمقاً وتنظيماً، أكثر مقصداً وتوجهاً مستقيماً، أكثر صلابة غير مقيّدة، فـــوق كلّ الجبهة كما ضدّ المركز.. الهجوم في المكان الحاسم، فـــي مقـــرّ المســـيحيّة نفســـها، وحملُ القيم النبيلة إلى العرش (عرشـــها)، أريـــد أن أقـــول: إعـــلاء تلك القيم الأرستقراطية وتعظيمها، وتطعيم تلك الغرائز والضرورات العميقة والرغائب الأساسية لمن يحتلون مقرّها، بها.

أرى أمامـــي إمكانيّة سحر وفتنة لا توصف، وتبدو لي تلك الإمكانية متلألئة بكلّ ارتعاشات الجمال المصفّى، وفيها يقامُ فنٌّ بـــالغ القداســـة، بـــالغُ شيطانيّةِ القداسة، بحيث عبثاً يُبحث عبر ألفيات السنين عن إمكانية ثانية مثل هذه.

أرى مشـــهداً مليئاً بالمعنى، وفي الوقت ذاته، شاذاً متناقضاً بطـــريقة غرائبيّة، بحيث كلّ آلهة الأولمب امتلكت دافعاً لتنفجر في قهقهة خالدة: قيصر بورجيا Cesar Borgia بابا!

هـــل أنا مفهوم؟ حسنٌ إذاً.. هذا كان الانتصار الذي أرغب فـــيه وحـــده اليوم: وبه بقيتِ المسيحيّة مغلوبة ومُتجاوَزة. ماذا حصـــل؟! راهـــبٌ ألمانـــي يدعى لوثر، ذهب إلى روما، هذا الراهب، الذي يحمل في جسده كلّ غرائز الانتقام لكاهن مصابٍ بـــالحوادث ومخيَّـــب، ثار في روما ضدّ النهضة... وبدلاً من التفهّم، مع الشكر العميق، للحوادث الهائلة التي وقعت، ولتجاوز المسيحيّة في مقرّها، فإنّ كراهيته وبغضاء استخرجت فقط من هذا المشهد غذاءها الخاص.. رجل ديني، فقط يفكّر في نفسه.. رأى لوثـــر فساد البابوية، بينما المقابل كان بالتأكيد في متناول اليد:

إذ الفساد القديم، والخطيئة الأصلية [Peccatum original]، والمسيحيّة، لم تعد بعد متربعةً على العرش البابوي! إنما الحياةَ والانتصـــار للحـــياة، والقـــول بالإيجـــاب لكلّ الأشياء الرفيعة والجميلة والمقدامة.

ولوثـــر.. أصـــلح الكنيسة مجدّداً: أي هاجمها؛ والنهضة ! واقعَـــةٌ بـــلا معنى وجهد باطل! آه من هؤلاء الألمان كم أثقلوا

علينا! جعلُ كلّ شيء باطلاً، هذا كان دائماً دأب الألمان. الإصلاح، "ليبنز" "كانط" وما يُدعى فلسفة ألمانية، ومعارك التحرّر[1] والرايخ كلّ مرّة تُبطِلُ شيئاً قد تحقّق وأمراً لا يمكن الرجوع عنه.

أولئك الألمان هم أعدائي، وأنا أجاهر بذلك: أحقِر فيهم كلّ شكل من قذارة المفاهيم والقيم، وكونها غير نظيفة، كلّ شكل من جبن تجاه كلّ نعم مشرّفة أو لا.

خلال ما يقرب من ألف سنة شوشوا كلّ ما لمسته أيديهم. وما يملكون في ضمائرهم غير أنصاف التشكيلات، ولا حتّى، بل كلّ نقص وثلاثة أجزاء من ثمانية، كلّ تلك الأشياء التي منها أوروبا مريضة.

كذلك هم آثمون من النوع الأكثر وساخة في المسيحيّة ممّا قد وجد، الأكثر عدم قابليّة للشفاء والذي لا يُرَدّ: البروتستانتيّة.

إذا لم يتم التخلص من المسيحية، فإن الألمان سيحملون الخطيئة.

---

[1] هي معارك الاستقلال التي جرت في ألمانيا بين 1813 و1815 للتحرّر من السيطرة النابوليونية [P].

- 62 -

بهذا أكون قد وصلت إلى النهاية فأعبّر عن حكمي.

أنـــا أدين المسيحيّة وأرفع ضدّ الكنيسة المسيحيّة الاتّهامات الأكثر ترويعاً التي قيّض لمتهمٍ أبداً أن يحملها في فمه.

إنّهـــا عندي الفساد الأكبر بين كلّ ما يمكن تخيّله من فساد، إنّهـــا قـــد ملكت إرادة الوصول إلى الغاية الأخيرة الممكنة من الفساد.

الكنيســـة المسيحيّة لم تَدَع شيئاً دُون أن تلمسه بفسادها، كلّ قـــيمة حولّـــتها إلـــى لا قيمة، وكلّ حقيقة إلى كذب، وكلّ أمر مشـــرّف إلى حطّة للروح. أفيتجاسر أحد مع ذلك ويكلمني عن بركاتها "الإنسانيّة".

تجاوز أيّ بؤس هو أمر مضادّ لمصلحتها الأبعد غوراً: لقد عاشت على حالة الحاجة والبؤس، وخلقت البؤس لتكون مؤبّدة.. وكمثال، دودة الخطيئة: الكنيسة بهذه النكبة أغنت البشريّة!!

((المســـاواة بين النفوس تجاه الله)) هذا الزيف، هذه الحجة التـــي هـــي حجـــة الضاغنين الأكثر حطّة، هذا المفهوم البالغ الانفجاريـــة الـــذي قد تحوّل أخيراً إلى ثورة، والفكرة الحديثة

والأساسـية للانحطاط في كلّ النظام الاجتماعي، هي ديناميت مسيحي.

الـبركات "الإنسـانية" للمسـيحيّة! هذا عمل من "الإنسانية" تناقضاً ذاتيّاً، وفن احتقار ذاتيّ، وإرادة تكذيب أيّة قيمة، وتحقيراً ونفوراً ضد كلّ الدوافع الجيدة والشريفة.

هذه هي عندي بركات المسيحيّة!

الـتطفل هـو الممارسـة العمليّة الوحيدة للكنيسة! الكنيسة بأفكارهـا ذات الـيرقان وفقـر الدم والقداسة، التي تتغب حتّى الأخير كلّ دم، كلّ أمل، وكلّ محبة في الحياة، والآخرة كإرادة إنكار للواقع؛ والصلبُ كعلامة تعريف للمؤامرة الأكثر ديماسيّة على غرارٍ لم يوجد مثيله قطّ: تُضادُّ الصحّة والجمال والإتقان، والإقدام، والهمّة، وكرم النفس؛ تضادّ الحياة ذاتها.

هـذا الاتّهـام الأبدي ضد المسيحيّة أريد أن أكتبه فوق كل الجدران، حيث توجد جدران؛ فأنا أملك حروفاً مرئية حتّى من العميان.

إننـي أدعو المسيحيّة اللعنةَ الكبيرة الوحيدة، الشذوذ الباطني الأكبر والوحيد، والغريزة الأكثر تفرّداً للانتقام، الذي لأجله ليس ثمّة أداة سامّة كفاية، خفيّة، سردابيّة، لئيمة، مثلها.

إنني أدعوها اللطخة الأبدية فوق البشريّة.

يُحســب الزمــن انطلاقــاً منذ يوم النحس الذي به بدأ ذلك الشــؤم؛ مــنذ الــيوم الأول للمسيحيّة. لماذا، وهو الأفضل، لا يحســب منذ آخر يوم لها؟ أيكون منذ اليوم؟ التحويل في جميع القيم!.

تشريع ضدّ المسيحيّة[1]

أعطـــي فـــي يوم الخلاص، في اليوم الأوّل للعام واحد (30 سبتمبر من عام 1888 من التقويم الزائف)

حربٌ حتّى الموت ضدّ الرذيلة، والرذيلة هي المسيحيّة.

البند الأوّل: رذيلٌ كلّ نوع ضدّ الطبيعة؛ النوع الأكثر رذيلة بيـــن البشر هو الكاهن، إنّه يعظ بمضادّة الطبيعة. وضدّ الكاهن لا يُتعامل بالحقوق، بل بالسجن.

---

[1] مقدّمة شفق الأوثان يذيلها نيتشه هكذا: "تورينو 30 سبتمبر 1888 اليوم الذي تمّ فيه الكتاب الأوّل من قلب جميع القيم". إنّه ذات اليوم المذكور هنا. ونفـــس العـــبارة فـــي نهايـــة هذا الكتاب آنفاً: "قلب جميع القيم". إنّها فترة محمومـــة الاندفـــاع كتـــب فيها نيتشه كتب حملته النهائيّة على المسيحيّة. خريف وشتاء 1888 في تورينو. انهار في يناير 1889 وتوفي 1900.

البــند الثانـــي: كــلّ مشاركة في خدمة إلهيّة هو تعدٍ على الأخلاق العامّة. يتوجّب التشدّد والقسوة ضد البروتستانتيين أكثر مما ضدّ الكاثوليكيين. فما في الكينونة مسيحيّاً من جنوح جريمي يــنمو بمقــدار الدنوّ من العلم. أكثر الجانحين جرماً، بهذا، هو الفيلسوف.

البــند الثالث: المكان اللعين، حيث حضنت المسيحيّة بيوض الأفاعي ذات النظرات المميتة سيكون مدمَّراً ومُسوّى بالأرض؛ وكمكــان دنس في الأرض، سيكون فزعاً للأنسال الآتية كلّها، وسيكون ثمّة أفاعٍ سامة تربو فوقه.

البــند الــرابع: الوعظ بالعفّة هو تحريض عمومي لمضادّة الطبــيعة. كــلّ احتقار للحياة الجنسيّة، كلّ تدنيس مضادّ للذات عــبر مفهــوم "اللا نقي" "الدنِس" هو خطيئة أصلية ضدّ الروح المقدّس للحياة.

البــند الخــامس: تناول الطعام فوق مائدة واحدة مع كاهن يســبب الطرد: معه سيحرم المرء نفسه من المجتمع الشريف. الكاهــن هــو طبقتنا المنحطّة "الشاندالا" ويجب أن يكون مُبعَداً محظوراً، ميتاً من الجوع، منفياً إلى أي قفرٍ كان.

البند السادس: التاريخ "المقدّس" يجب أن يلقّب بالاسم الذي يستحقّه: تاريخ ملعون.

وكلمـــة "الله"، "المخلّــص"، "الفادي"، "قديس" تستعمل كسُبّة، كتمييز للمجرمين.

البند السابع: البقيّة تستنبط من هنا.

"الأنتي كريستو"

الإنسان المتفوق ربما يكون غداً، كما تدل منظورات علمية ومستقبلية كثيرة، لا بيولوجياً جينياً فقط، بل سيليكونياً، وبديلَ سيليكون آتٍ.. سوف لن تكرّس أبدع الصفات المنتجبة في أفراد معدَّلين، ومن جهة الجسد فحسب، بل وكذلك الصفات العقلية مدعّمة بقدرة كمبيوترية!

الإنسان القادم سيحوى صفات الغابة والمدنية، صفات الجسد الرائع والرقي الدماغي.. في الجنس والجمال والذهن. والعقل في ذلك كله هو الأساس.

لكن النقطة المهمة أن نيتشه يفتقد حوله النبالة، ويشتكي من الرعاعية وعدم وجود النظام التراتبي الذي يعده طبيعياً. ولأجل ذلك يمتدح قانون مانو وتراتبية الهند إلى حد يجعله يقرر أن الطبقة ليست اختياراً بل طبيعة، وهو في هذا يغالي أكثر من أفلاطون حين يتحدث عن عروق الذهب والنحاس في جمهوريته.

مع ذلك لا يمكن لنظام النبالة والتفوق والتفريق أن يندثر، فالنوع الأرقى من الديمقراطية يتيح الفرص للتباين والتفوق. وعلى نطاق كـ[illegible] فاننا نلاحظ اليوم طبقات أممية: عالم أول وعالم ثالث، وربما دو[illegible] ومنبوذين. إن سقوط الشيوعية له دلالته هنا.

من مقد[illegible]





دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - اللاذقية - ص. ب 1018 هاتف 422339